

نصوص
فاسقية

أرس طو

دعوة للفلسفة

(بروتريبيتيقوس)

كتاب مفقود لأرسسطو

قصص للعربي مع تعليلات وشرح
د. عبد الغفار مكاوى

مكتبة لسان العرب





نحو من فاسقين



مكتبة لسان العرب

الإخراج الفنى

البير جودجى

أُرْسَطُو

دُعْوَةُ الْفَلْسَفَةِ
(بِرُوْتِرِيْبِتِيْقُوس)

كتاب مفقود لأُرسطو

قِرْمَهُ الْكَرِيمُ مَعَ تَسْلِيْقَاتٍ وَشَرْعِيْعَ

د. عَبْدُ الْفَقَارِ مَكَاوِي



الْمَلَكُوتِيَّةِ الْمَسْتَعْنَوَةِ

١٩٨٧

الإهداء

إلى زوجتي ..

كلمات خالدة لأرسسطو :

- « إن البشر جمِيعاً يسعون إلى المعرفة بمُحكم طبيعتهم »
(أرسسطو ، ما يبعد الطبيعة ، الألقاء ، ٩٨٠ - ٢١ - ٢٨)
- « ماصنعت الإله ولاطبيعة شيئاً باطلة »
(السماء ٤ - ٢٧١، ٣٣)
- « القانون وحده هو الحكم والسيد ، هذا القانون الذي يعبر منطقه عن حكمة وبصيرة ومن ذا الذي يمكنه أن يمثل لنا المعيار الدقيق ويكون لنا بمثابة الدليل المادي إلى الخير غير الإنسان الحكيم ؟ (بروتريبيتقوس ، ب ٣٨ - ٣٩)
- « المثل القائل : لاتنفع السكينة لطفل ، يعني ألا تضيع القوة في أيدي الأوغاد (ب ٤) »
- « الباحث بأقصى جهده عن الحقيقة هو الذي ينفرد بأكل حياة ممكنة (ب ٨٦ ، ٨٥) »
- « إن الحياة الخالية من التأمل والنظر لحياة لا تليق بالانسان . (ب ٤٢) ، دفاع مسراط (الأبولوجيا) ٣٨ : »

تقديم

كتاب مفقود لأرسطو خصاع مع ماضع^(١) من المحاورات التي أكتبها في شبابه ولم يبق منها غير أمها وأبعض شذرات متفرقة منها . صحيح أن بعض المؤلفين القدامى قد عرروا عنوانه الأصلى «برتوريبيتيقوس» (١) وأن عدداً منهم وضع كتاباً آخرى تحمل نفس العنوان الذى يفيد الحث على الفلسف وبيان ضرورته للحياة السعيدة . وصحى أيضاً أنهم اقتبسوا منه عبارة ذاعت شهرتها في كتب الفلسفة حتى يومنا الحاضر - لا وهي العبارة التي تقول : إما أن التلخيص ضروري ، ولا بد عندئذ من الفلسف وإنما أنه غير ضروري ، ولا بد أيضاً من الفلسف لاثبات عدم ضرورته وفي الحالين يتبع الفلسف » (٢) . ولكن الكتاب ظل أكثر من ثلاثة وعشرين قرناً في عداد المفقودين .. وبقي الأمر على هذه الحال منذ النصف الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حين نشر عالم ألمانى كتاباً عن محاورات أرسسطو طرح فيه السؤال

(١) Προτρεπτικός Ho Protreptikos هو الشيء المقنع أو المجرى ، والنعلم منه (روتيرى) منه يحيث على شيء ويعنى عليه بالجاج . وقد استخدنه ألاطرون في الحث على الفلسفة، كما استعاره من أرسسطو أكثر من مؤلف قديم نقل عنه وتأثر به ، وخصوصاً ياميلين خوس .

(٢) لم يرد نص هله المearاة في الكتاب ، وإنما استرجاه ، يعني المؤلفين المتأخرين من مسrovته وعنهـ - النظر التعليليات .

عن مضمون الكتاب الضائع وهدفه. وانطلق البحث من هنا السؤال الحائز
ودارت عجلته مائة سنة كاملة حتى أعيد بناء الكتاب المفقود الذي
تجده بين يديك.

لو صرفا النظر عن الفهارس القديمة التي أحصت مؤلفات المعلم الأول (١)
لوجدنا نصين اثنين من العصور القديمة يذكر فيها « البروتريبيوس »
الضائع ذكرها صريحا فالأسكندر الأفروديسي (حوالي سنة مائتين بعد
الميلاد) أكبر شراح أرسسطو يقول (٢) إن أرسسطو يطرح فيه السؤال عن
ضرورة التفلسف للبلوغ السعادة والحياة الأخلاقية الطيبة او عدم ضرورته
ويؤكد الأسكندر أنه قدم الدليل على ضرورته عندما بين أن من يحتاج
على الفلسفة إنما يثبت بهذه الحججة نفسها أنه يتفلسف . ولقد كان هم
أرسسطو أن يدافع عن صحة العبارة التي ذكرها أفلاطون في محاجرة
« الدفاع » على لسان سocrates (٣) : « إن الحياة الخالية من البحث
والتأمل حياة لاثقة بالانسان ، وأن يؤديها مجتمع آخر استمدتها من
تجربته في الحياة ورؤيته لها . أما النص الآخر الذي يرد فيه ذكر الكتاب
فيرجع إلى زينون مؤسس الرواية (من حوالي ٣٣٦ إلى ٢٦٤ ق.م.)
الذى يروى (٤) عن معلمه الكلبى « كراتيس » (أو اقراطيس تلميذ

(١) يذكر أسم الكتاب على سبيل المثال لدى أندرونيقوس الروديسي الرئيس الحادى عشر على الوقيون ومصنف كتابات أرسسطو - في كتابه عن مؤلفات أرسسطو ، كما يذكر أيضاً في قائمة مؤلفاته التي أوردتها ديريجينيس اللاتينية (من الثالث الاول القرن الثالث بعد الميلاد) في الفصل الذى كتبه عن أرسسطو في الياب الخامس من كتابه المعروف حياة مشاهير الفلسفة وأزاحتهم ، من ٢٥١ إلى ٢٥١ من الترجمة الألمانية لأنثوليت ، المكتبة الفلسفية ، هامبورج . ١٩٦٧

(٢) في شرحه المعاكس الجدلية أو الطريقيا لأرسسطو ، ٢ ، ٢ ، من ١٤٩ (داليس)

(٣) الدفاع ، ٣٨ ، وانتظر كذلك الفقرة الأخيرة من نص هذا الكتاب (ب) ١١٠

(٤) ورد نص الحكاية في موسوعة ستريابوس ، ٢ طبعة هنر، من وتحت رقم (٥٠) من
الشلالات والتوصيف المترافق من محاجرات الشباب لأرسسطو وكتاباته المفقودة التي تشرها فالسر =

ديوجينيس الكلبى) أنه كان يجلس يوماً في دكان صديقه الاسكافي «فليسكوس» : وأخذ كراتيس يقرأ عليه من كتاب أرسسطو «البروتريبيتicos» الذى أهداه لشيسون ملك قبرص وقال له فيه : مامن أحد مثلث أهلته الظروف ليهب حياته الفلسفية ، فأنت ثرى ، ويمكنتك أن تتفق المال اللازم لتحصيلها ، وأنت مرموق المكانة . كان الاسكافي يسمع لما يقرأه صديقه عليه دون أن يكتفى بمواصلة عمله : فقال له كراتيس : «أعتقد يا عزيزى فليسكوس أننى مأهولك كتاباً بنفس العنوان ، فانلوك فى رأىي أهل للحياة الفلسفية أكثر من ذلك الذى أهداء أرسسطو كتابه » ::

وسواءً أكانت حكاية الفيلسوف الكلبى صادقة أم من نسخ خياله فإن متراها لا يختى على القارئ . لقد أراد هذا الشحاذ البائس - الذى عرفت العصور القديمة جولاتة فى القرى ومواعظه للفقراء بالزهد والعودة إلى حياة الطبيعة - أراد أن يقول إن الاسكافى المسكين أقلد على الحياة الفلسفية من الملك صاحب السلطة والجاه والثراء : والأهم من ذلك أنه لم يكن ليروى الحكاية ولم يكن زيتون لي RDDها بعده لو لم يكن «بروتريبيتicos» أرسسطو معروفاً بين الناس فى النصف الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد :

مهما يكن الأمر فنحن لا نملك غير هذين النصين اللذين يذكر فيما كتاب أرسسطو ، وكلاهما لا يفيدنا بشئٍ مما يقوله فيه . ولقد مرت القرون وتوالت الأجيال منذ ذلك الجبين إلى أن طرح العالم الألماني ج . برنياس (في كتاب صدر له في برلين سنة ١٨٦٣ من محاورات أرسسطو) مشكلة هذا الكتاب وتساءل عن هدفه ومضمونه : وبذلت عيون الباحثين نقاشات عظيمة وتعلمس صلاته في نصوص أرسسطو الباقيه من كتبه الضائعه أو في نصوص القدماء الذين أخذوا عنوان كتابه وحاولوا تقليد أسلوبه وأفكاره . وظل

= (فلورتسا ١٩٤٣) وربوس (أكسفورد ١٩٥٥) فما زالت هي المرجع في تفسيرها للملاءة ومحارتهم لامادة هناء النعم وتحقيقه .

الأمر في أخذ ورد حتى بدد العالم الأنجلزي بيرووتر^(١) الظلام المحيط به وأثبت أن كتاباً بنفس العنوان ليambilخيوس (أحد أتباع الأفلاطونية المحدثة ٢٧٠ - ٣٣٠ م) يضم جزءاً كبيراً أخذ بقصه المحرف من كتاب أرسطو. وتوالت حماولات العلماء من مختلف بلاد العالم لتفصير النص وتحقيق أسلوبه ومفرداته ومحنتواه والتآكده من صحة نسبته لأرسطو - ويطول بنا القول لو حاولنا تتبع أسمائهم وتفاصيل الاختلافات التي دارت ولا تزال دائرة بينهم^(٢) ، إذ يكفينا في هذا التقديم أن نتناول الجوانب التاريخية العامة ونعرض لتحليل الكتاب ونشأته ومضمونه .

* * *

أهدى أرسطو كتابه إلى أمير قبرصي مجهول هو ثيميسون^(٣) . ويبلو أنه وجه بهذا الهداء ضربة بارعة إلى خصوصه وأثبت لم أنه قد نزل إلى ساحة الميدان الذي ظل وقفا عليهم. ومع أن الظروف والأحوال السياسية في ذلك الحين ليس لها علاقة مباشرة بمضمون الكتاب ، فإن المدف الحقيني من ورائه هو رد سهام هؤلاء المخصوص (وبخاصة إيزوقراطيس^(٤))

(١) وذلك في بحث نشر في مجلة فقه اللغة ، المد الثان لسنة ١٨٦٩ ، ص ٥٥ - ٦٩ ، وقد فيه نصوصاً اعتمدها العالم الألماني فرنزيجر - صاحب الكتاب الشهور عن أرسطو وتاريخ تطوره - في إعادة بناء النص وتفصيره . ثم توالت حماولات أخرى لمراجعة هذا البناء وتحقيق أجزاءه لأرسطو -

T. Bywater ; On a lost dialogue of Aristotle, Journ. of Philology - 2 (1869) , p. 55-69.

من المعلوم أن التعرض لهذه الاختلافات يتضمن النظر في النص اليوناني وإبراز التفاوتات في فهم أسلوبه وكلماته ، وهو أمر نشر النص الأصل بجانب ترجمته ، وذلك مالاً تساعدنا عليه حالة الشر وللحالة البحث في الفلسفة الأرسطية في العالم العربي . وقد أغاثانا النص الذي توصلنا إليه - من تحقيق الأستاذ إنجيل ديرنج وترجمة - عن ذلك ، ومن شأن أن يتضمن تاريخ البحث في الكتاب إلى مؤلف الأستاذ وج. رايتنوفس عنه .

W. G. Rabinowitz: Aristotle's Protrepticus and the sources of its reconstruction, I, Berkeley 1957, 1-22.

(٢) انظر المزيد من إيزوقراطيس في التعلقات .

صاحب خطبة « الأنطيلوزيس » التي انتقد فيها منهج التعليم والتربية في الأكاديمية ، ورئيس إحدى المدرستين الفلسفتين المتفاوتتين في أثينا – الذين هاجموا المعرفة النظرية ، وأوحوا إلى الشباب أن الفلسفة – بوصفها – معرفة خالصة – لا ضرورة لها ولافائدة منها في الحياة العملية ، وأن السعادة تكمن في استقامة السلوك والعمل الطيب وحده :

ولهذا فإن الدعوة البليغة التي يحملها الكتاب إلى التخلص دعوة موجهة في الواقع إلى الشباب الأثيني المترافق على أبواب المدرستين المتفاوتتين وهي حث له على حياة التأمل والنظر التي هي وحدها الحياة الحقيقية بالانسان .

• • •

يبدأ أرسطو دعوته بالإشارة إلى أهمية الفلسفة والتساؤل عن الفضيلة والخير ، وبين أن كليهما لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق معرفة مطابقة له ، فبغير هذه المعرفة يصبح امتلاك الخيرات الخارجية من ثروة وقوة وجاه خطرًا يهدى الإنسان ويضره أكثر مما ينفعه . هذه المعرفة هي التي تصنى على تلك الخيرات قيمتها . وهي في الحقيقة تفوقها في القيمة لأنها لم توجد لأجلها فحسب ، وإنما هي قيمة في ذاتها ، بل هي القيمة العليا التي تجعل لكل ماعداها قيمة – وبذلك ينتهي الغرض الأولى بآيات أن الفلسفة ممكنة .

ثم يشتبك المعلم الأول في مجادلة الخصوم الذين يشكون في هذه التبيعة ويرجون بين الشباب أن الفلسفة لا ضرورة لها في الحياة العملية ولا جلوئي منها . ويرد على هذا الاعتراض القديم المتجدد أبداً بأن الفلسفة جطيرة بالسعى إليها لأنها أسمى خير يمكن أن يبلغه الإنسان . ولما كانت الغاية الطبيعية للإنسان هي ممارسة العقل فإن الحياة العقلية المكرسة للتأمل والنظر هي مهمته الحقيقة وواجبه الأول ، وبها يبلغ كماله ويمجد سعادته . وإذا كان البعض يتهم هذه الحياة بأنها غير نافعة ، فإن أرسطو يبين أن لا يصح

التقليل من قيمتها بالنسبة للمشرع والسياسي ، وبهذا يثبت أن الفلسفة « نافعة » :

وبناءً أو سطو طريقته في الحاجة دفاعاً عن الفلسفة فيبين أن السعادة البشرية تقوم على فاعلية العقل ، وأن التفلسف هو غاية الحياة الإنسانية بحكم طبيعتها نفسها ، وأن هذه الحياة التي يهبها صاحبها للعقل هي أسمى الملة وأنقى فرح يمكن ، لأن فاعلية العقل هي الخير الوحيد الذي لا يتوقف على غيره ولا يتطلب أي شروط خارجية . وهكذا تنتهي هذه المراجعة إلى الفقرة الأخيرة (ب ١١٠) التي ترتفع فيها موجة التحمس حتى تبلغ أسمى قمة . إن الفلسفة تعلو بالانسان فوق الارض وفوق الفنان ، وتتيح له المشاركة في الخلود والألوهية بل تجعله أشبه بالله بين بقية مخلوقات الله ::::

هذه هي جملة الأفكار الأساسية في الكتاب : وهي تعبير بغير شك عن دفاع مخلص عن الفلسفة ، يوشك في مفهومنا الحديث أن يكون نواحاً من الدعاية الأدبية الفلسفية : ولابد أن القاريء قد أحسن نعمته الخطابية التي تعلو في أجزائها (وخصوصاً في الفقرتين ب ٤٣ ، ٤٤) إلى حد الصخب الذي يتحقق صوت المنطق ! ولكن هذا الصوت المرتفع في بعض الأحيان لا يستطيع أن يتحقق دفع العاطفة التي تسري فيه وتجعل منه شهادة اعتراف صادقة سجل فيها الفيلسوف مثله الأعلى في الحياة : ومع أن أسلوب الكتاب يشف عن روح الشباب ويختلف اختلافاً واضحاً عن أسلوب الكتب التعليمية المتأخرة التي يتميز بال الموضوعية والبلطف ، فإنه مع ذلك يعكس تفكير رجل ناضج ويدل على خبرته بالحياة والناس وقدرته على الحاجة والاقناع : ولعل التحليل المتأني لمضمون الكتاب أن يؤكّد هذا الإحساس ويهدّ للإجابة عن المسؤول الذي يطوف في أذهاننا عن زمن تأليفه وموقعه من كتابات المعلم الأول وتطوره العقلي والروحي ::

١- يسهّل أرسطو كتابه بالاحداث الذى عرفنا قصته. ثم يعرض أول قضية أساسية فيه: إن السعادة في الحياة تقوم على الحالة النفسية الطيبة (وهي كما أشرنا قضية سبق أن عبر عنها أفلاطون على لسان مocrates في محاورة الدفاع ، كما يرجع إليها أرسطو في فقرات تالية^(١)) كما أن املاك الخيرات الخارجية بغير مبادئ أخلاقية هو الشر بعينه .

٢- يتحدث أرسطو عن «الفلسف» فيقول إنه يعني أمرين: فهو من ناحية سؤال يطرح عما إذا كان ينبغي على الإنسان أن يتفلسف ، وهو من ناحية أخرى تكريس الحياة الفلسفية . ويتناول القضية الأساسية الثانية فيبين ضرورة الفلسف وقيمتها في الحياة السياسية والعملية^(٢) . فإنما كان أصحاب الصنائع وأرباب المهن اليدوية يكتشفون أفضل الأدوات عن طريق ملاحظة الطبيعة فيتهم على السياسي ورجل الدولة أن تكون لديه معايير معينة يستمدّها من الطبيعة ومن الحقيقة ، ويحكم بها على كل ما هو عادل وجميل ونافع .

ولاسبيل من لم يهب حياته للفلسفة ولم يعرف الحقيقة أن يتوصل إلى هذه المعايير مستمدّة من المعرفة النظرية بالمبادئ والعمل الأولى إلا أنها هي التي تسمح لنا بتصریف جميع أعمالنا .

ويستطرد أرسطو في تقديم الأمثلة من الحياة العملية والمادية ليؤكد أنّها جمیعاً لا تستغني عن المعرفة النظرية . فالأشياء الجسمية مجرد أدوات ، وعليها أن نطلب المعرفة التي تصاعدنا على حسن استخدامها .

وتسرّي الحجة التي يسوقها لاثبات هذه القضية في خطوات: فالأشياء تنشأ عن طريق الصناعة والطبيعة أو عن طريق الصدفة والحظ ،^(٣) وعملية النشوء تمضي في خط لا يعكس من كون إلى نمو إلى تحقيق غاية

(١) انظر هذه الفقرات : ب ٥٢ ، ٦٨ ، ٩٣ ، ٩٦ -

(٢) انظر التائج الذي يستخلصها في الفقرات (ب ٤٦ - ٥١)

(٣) وهي بالترتيب : تختى - Techné ، تھئون - Theory ، وفيزيوس - Physis ،

وتيغى - Theory

إلى تحلل فساد^(١) ، وهي عملية تعبّر عن حقيقة «الغاية» التي تطبع بخاتمها مذهب ازسترو كله والطبيعة نفسها هي منع كل خير وجمال ، وتكون مظاهر إبداعها جميلة بقدر ماتسیر العملية الطبيعية السابقة في طريقها المسوى ، كما تكون منتجات الفن والمصنوع البشرية جميلة بقدر ماتحاكي الطبيعة وتكميل ماتركته ناقصا .

ويأتي الحديث عن سلم التطور الطبيعي الحى . فالطبيعة نفسها تقضى بأن يكون الهدف الأسمى للإنسان هو تحقيق ملكة العقل التي نسبتها الحكمة أو الفطنة (ب ١١ - ٢١) وبحكم الطبيعة نفسها توجد مستويات مختلفة لملكه العقل والقدرة على التفكير . هذه المستويات تؤلف سلما من القيم يتربع على قمته الفكر الذي تم فاعليته وينتخار كمناثل لذاته . والطبيعة يرسودها النظام والترتيب وتراعي الحد ولا تبتعداه ، فهي عاقلة ولا تعمل شيئا بالصدفة (ب ٢٢ - ٣٠ ، وهي فكرة تمثل نواة الفلسفة الأرسطية وترتدد في معظم كتابات معلم البشرية^١) هل يستعصي على الناس بلوغ هذه الغاية الرفيعة ؟ إن أرسطو يؤكّد أن الحياة الفلسفية أو الموقف الفلسفي من الحياة ليس هدفاً مستحيلاً على الإطلاق . بل إن صعوبة تحصيل الفلسفة تقل في رأيه بكثير عن الفائدة التي تتيحها والفرح الذي يجنيه منها (ب ٣١) . وهناك في الواقع علم بالعدل والمالكة كما أن هناك علمًا بالطبيعة وبكل ما هو موجود على الحقيقة ونحن قادرون على تحصيلها سواء بسواء (وهما علم الأخلاق وعلم الطبيعة بالمعنى الأرسطي) . والمسألة في النهاية مسألة نظر وعلم نظري بالمبادئ والأصول^(٢) .

هذا العلم الخالص يسيّق كل علم لاحق بالأشياء . والأدوات والأجسام . كما تسبّب العلة المعلول ويقتضي الشرط على ما يتعلّق به ، ويعتمد عليه . فمعرفة الأولى

(١) راجع الماشر الملحق بالفقرة (ب ١٢) من النص .

(٢) أوثوريا - *Theoria* وهي مصطلح أساس في لغة الفسفة ، وكانت في الأصل تدلّ على المشاهدة والفرجة على التشكيل ، ثم أصبحت تبني النظر والتأمل ونشرة الرؤية بين السروح

والبسيط في الطبيعة أسلل وأبسط من المعرفة بأى شى آخر، لأن كل ما عدتها يتكون من هذه العناصر ويفى منها . ثم ان كل ما هو خير فهو كذلك محدد ومنظم . والمهم بعد كل شى هو العلم بالأسباب والعوامل والعناصر الأولية ، أو هو – كما تقول اليوم – معرفة «البنية» الأساسية بحيث تكون الأولوية دائمًا للبسيط على المركب ، وبحيث تسبق المبادئ ما يترتب عليها .

وبجانب فروع العلم الأخرى يوجد علم بفضيلة النفس (أو كفافها) وصلاحها ب ٣٢ - ٣٧) . وامتلاك القدرة على التفكير وملائكة العقل وفقا لمبدأ الغاية – هو أسمى الخيرات التي يتحلى بها الإنسان امتلاكاها . ومن ذا الذي يمكنه أن يجسد لنا المعيار الدقيق للخير والدليل المادى اليه غير البصیر الحكيم ؟ لابد للإنسان من التمييز بين ما هو خير وما هو ضروري : وحتى لو ثبت له أن امتلاك الحكم وملائكة العقل والتفكير لا ينفعه في الحياة العملية (بل ربما جنى عليه في معظم الأحيان كما تؤكى لنا تجربة الحياة اليومية !) فإن هذا لا يمنع أن التفكير يحمل قيمته في ذاته ، وأنه جدير بالاختيار والتفضيل في كل الأحوال (ب ٣٨ - ٤٤) ويرسم طرو في ختام هذا الجزء من كتابه إلى الحجة التي انطلقت منها (ب ١١) وهي غائية الطبيعة التي تغيل بها إلى تحقيق الأقيم والأجمل والأرفع (ب ٤٥) :

٣ - ومع كل هذه المحاذير فإن النظر العقلى في أصول الأشياء ومبادئها أمر نافع للحياة العملية : (١) فالسيامى يتحمّل عليه كما سبق أن يلم ببعض المعلم والمعايير التي يستمدّها من الطبيعة ومن الحقيقة ويستعين بها في الحكم على ما هو عدل وحق وجمال : (ب ٤٦ - ٥١)

(١) يلاحظ أن الأصل أو المبدأ (أرثيـة Arché - آرـثـه) عند أرسطـو هو عـلـ الدـوـامـ الأـصـلـ فـيـ شـيـءـ أوـ عـدـةـ أـشـيـاءـ ، وـأـنـهـ لـاـ يـقـومـ بـفـسـهـ وـلـاـ يـوـجـدـ لـوـحـدـهـ عـلـ الـاطـلاقـ (أنظرـ كـتابـ الطـيـمةـ ١ - ٢ - ١٨٥٠) .

غير أن معرفة المعايير لا تكفي : فواقعية أرسطو وخبرته بالعالم والناس تجعله يفلسف للعمل كما يفلسف للنظر ، ولهذا يقول صراحة إن من الواجب تحويل المعايير إلى أفعال ، وتجسيد النظر في ثوب العمل . فالفلسفة عنده تتحقق بحكمة وتطبيقاتها (ب ٥٢ - ٥٣) ، والنظر في حقيقته فعل لا مجرد تأمل . انه معرفة متوجهة متوجهة للتحقيق والإنجاز .. صحيح أن الإنسان الذي يوقف حياته على النظر ويهبها للفلسفة لا ينتهي من الناس أجرأ ولا جزاء ، ولكنها تستولي عليه ويمد سعادته الكبرى في الاشتغال بها والعكوف عليها (ب ٥٥ - ٥٧) .

٤ - ويتسائل أرسطو : ما هي مهمة الفلسفة ولماذا كان يلوغ الحكمة هو غايتنا القصوى ؟ ويبدأ في الإجابة على هذا التساؤل بالحديث عن العلاقة بين الجسم والنفس . ففي داخل النفس يكون الأعلى هو الجزء المحاذير على العقل وملكة التفكير هذا الجزء الصغير (كما يصفه أفلاطون في الجمهورية ٤٤٢ ج) هو العقل (نوس) وهو يعبر وحده أو في المقام الأول عن ذاتنا الحقيقة (ب ٥٩ - ٦٢) . أما عن المهمة الأساسية للفكر فهي التوصل للحقيقة (ب ٦٣ - ٦٦) ونحن نسعى في طلبها عن طريق التأمل الفلسفي ، وتبليغ أسمى درجة في هذا التأمل عندما نطلبها لن ذاتنا (ب ٦٦ - ٦٩) . ثم يستطرد أرسطو إلى الكلام عن العلاقة بين العلم والرأي . فالعلم والمعرفة الدقيقة أبجدر بالاختيار من الرأي الصادق . وأبجدر شيء بالاختيار عند الإنسان هو التبصر الفلسفي . ولهذا يسعى الناس جميعا في طلب المعرفة (كما تقول العبارة المشهورة في مقالة الأنفال من كتاب الميتافيزيقا ١، ١٩٨٠ ٢١) ويعد هذا القسم من الكتاب من الفقرة (ب ٧٠) إلى الفقرة (ب ٧٧) .

٥ - والحياة العقلية بجانب هذا كله حياة غنية بالفرح ، والمقالات من الناس ينشدونها وينجذبون في طلبها للاستماع بالأفراح الحقة والمسرات البليلة (ب ٧٨ - ٩٢) . وهنا يجد المعلم الأول فرصة مواتية للحديث عن فكرته الرئيسية المعروفة عن القوة والفعل ، ويعرضها عرضا مبسطا

يتقبله القاريء العادى ، فيميزه بين المستيقظ والنائم ، بين المبصر بالفعل والقادر على الإبصار ، بين العارف بالامكان ومن يستخدم معرفته وبطريقها - لينتهى من ذلك إلى القول بأن الفعل أعلى قيمة من الانفعال ، وأن أسمى أفعال النفس هو التفكير ، وأعلى درجات التفكير هو الفلسف ، وهذا تكون الحياة الكاملة من نصيب أصحاب الفعل الحالى ، أى من نصيب المتكلسين . وهم الذين يبلغون الغاية ، لأنهم هم الذين يقومون بالفعل الفلسفى - على أساس العلم المتناهى في الدقة لا على أى وجه كان ١- ويجدون في طلب الحقيقة في حياة النظر والعمل على السواء :

(ب ٧٩ - ٨٦) ولما كانت هذه الفاعلية القصوى المطلقة من كل قيد هي التي توفر الفرح فمن الواضح أن المتكلس هو الذي يحيا أكمل حياة ويتمتع بأعمق الأفراح .

عند هذه القيمة من الدفاع البليغ عن الفلسفة تبرز قيمة أخرى مضادة ، إذ يقول أرسطو مامعناه : لكن النام للأسف لا يد ركون مصلحهم ويخشون أنفسهم للجهد والمشقة في سبيل أشياء عقيمة وعاطلة من كل قيمة (ب ٨٧ - ٩٢)

٦ - هكذا تكون الحياة الفاعلية على الوجه الصحيح . أى الحياة العقلية - هي الشرط اللازم لبلوغ السعادة : وهنا يهيب أرسطو بإجماع النام على طلب المعاادة ليؤكد من جديد أن التفلسف هو الحياة السعيدة الكاملة أو هو على الأقل أنيج الوسائل المؤدية إليها : (ب ٩٧ - ١٠٢) :

٧ - ويسوق أرسطو حجة بلاغية جديدة يبدأها بحقيقة موداء لاتقارن بالنجمة السابقة المتألقة بالبهجة والفرح . فهو يوازن بين الحياة العاقلة وبين حياة النام الذين يصررون همهم على مجرد الحياة وبأى ثمن .. وتفاجئنا نظرية النسر الجzin الذى يطل على وادى الأشباح ، فالأشياء التى تبدو في أعين الناس عظيمة ليست في حقيقتها الألعاب ظلال :

وتحصل خاتمة اللحن المكتسب فنقتبس من الحكماء والشعراء القدماء مؤكدة أن حياة البشر تکفير عن ذنب كبير جنیناه ، لتبلغ في النهاية قلب القناعة نفسها وترسم لوحة لاتنسى عن المساجين الذين تقيد بجث الموتى بأجسادهم بحيث يواجه الوجه بالوجه ، ويلتصق العضو بالعضو⁽¹⁾ (ب ١٠٥ - ١٠٧) .

هل أراد المعلم الأول أن ينفرنا من حياتنا العادلة المشغولة بالنهم إلى الثروة والغنى والشهرة وغيرها من المخربات الظاهرية الخادعة لنتحقق العـلو فوقها على جنـاح التفـلسف ، أم غـلـبـتـهـ تـعـربـتـهـ أو قـرـاءـتـهـ - فـانـسـاقـ إـلـىـ هـذـهـ الصـورـ الـأـلـيـةـ ؟ـ مـهـمـاـ يـكـنـ الجـوابـ فإنـ الكلـمـاتـ الخـاتـمـيـةـ هـيـ أـلـبـعـ دـفـاعـ يـكـنـ تـصـورـهـ عنـ الفـلـسـفـةـ :ـ فـلـيـسـ ثـمـةـ شـيـءـ لـهـ فـيـ الـأـنـسـانـ الـأـشـيءـ وـاـحـدـ يـسـتـحقـ وـحـدـهـ عـنـاءـ الـجـهـدـ ،ـ ذـلـكـ هـوـ الـعـقـلـ وـالـتـبـرـرـ الـحـكـيمـ (ـأـوـ التـفـلـسـفـ)ـ .ـ وـإـنـ حـيـاةـ تـخـلـوـ مـنـ التـأـمـلـ لـهـ حـيـاةـ تـخـلـوـ مـنـ كـلـ قـيـمةـ وـلـاتـلـيقـ بـاـنـسانـ .ـ .ـ (ـبـ ١١٠ـ - ١١٠ـ)ـ

* * *

متى وضع أسطو هذا الكتاب ؟ أهوا من كتابات الشباب «النشرورة» أم من مؤلفات الرجولة «المستورة» ؟ ألمينا أي دليل على زمن التأليف أم لأنكلث إلا الترجيـسـ ؟ هل كان عند تأليفه تلميـذاـ مـخـلـصـاـ لأـفـلاـطـونـ أمـ استـطـاعـ أـنـ يـتـحرـرـ مـنـ سـطـوـتـهـ وـيـدـأـ يـفـكـرـ لنـفـسـوـ يـعـلـيـ بنـاءـ مـذـهـبـ ؟ـ أـكـانـ شـابـاـ لـاـيـزالـ أـمـ بـرـجـلاـ يـرـفـلـ فـيـ إـهـابـ الرـجـولـةـ النـاصـبـةـ ؟ـ .ـ

(٢) لعلها إشارة إلى عادة كانت لا تزال متبعـةـ في عصره عند بعض الشعوب الأخرى ، وقد سبق له أن تكلـمـ عنـ الكـلـيـنـ وـبـعـضـ الـقـبـائـلـ الـمـتـرـوـحـةـ عـلـيـ الـبـحـرـ الـأـسـوـدـ فـيـ الـاخـلـاقـ الـنـيـقـوـ مـانـيـهـ (ـفـيـ المـاقـاـتـينـ الـثـالـثـةـ وـالـسـابـقـةـ)ـ .ـ

أمثلة ييلو أنسنا لن نعثر في شأنها على اليقين . أقصى مانعلكم أن نعرض آراء العلماء وهي لاتزال إلى اليوم تتأرجح على حافة الرأي والترجح والتخمين . . .

• • •

كان الرأي بين معظم الباحثين "منذ ألف العالم الألماني «بيجر» كتابه المشهور عن أرسطو وتطوره الفكرى سنة ١٩٢٣ - أن أرسطو ظل طوال الفترة التي قضتها طالباً ومعلماً في الأكاديمية الأفلاطونية وقارب العشرين عاماً - ظل طوال هذه الفترة وحتى موته أفالاطون تلميضاً خلصاً لأستاذه ، تأثر به في كل ما كتب في ذلك الحين ، وشارك في نشر أفكاره وتعاليمه : - غير أن كل ما كتبه أثناء حياته في الأكاديمية قد ضاع ، لم يبق من أشعاره ومحاضراته . شبابه سوى بضع شذرات متفرقة من أهمها مابقى من «أويديموس» و«عن الفلسفة» وهذه المحاورات التي تتحدث عنها الآن : «بروتريتيقوس»^(١). وقد زعم «بيجر» أن الكتاب الأخير كان بمثابة برنامج دراسى للأكاديمية ، ودعوة إلى المثل الأعلى الذي يبشر به أفالاطون وتحث على السير على طريقته . ومع ذلك فإن «البروتريتيقوس» يسجل التحول الذي أصاب نفوس الجيل الجديد من شباب الأكاديمية وغير من نظرائهم إلى الحياة العقلية . لقد حرص أفالاطون على تحقيق المثل الفلسفى الأعلى في الحياة . ولكنه أراد بفلسفته كلها أن يصلح الواقع وينقذه من الفساد ، وينقل إلى ظلام

(١) يلاحظ أن شكل المحاورة ونسمتها عند أرسطو مختلف كل الاختلاف عنه عند أفالاطون ، فهو عند الأول لم تقدم شخصيات تحاور في الفالب مع سقراط ، وإنما صيفت على هيئة رسالة أو خطاب إلى بعض الأشخاص . ولذلك كانت محاورات على طريقة أفالاطون في عهده الأخير ، والمحوار فيها تقصير جداً لا يتعدى افتتاح الكلام ووضع المسألة ، ثم يشرح المؤلف رأيه في خطاب كما يشرح سقراط رأى أفالاطون « - يوسف كرم . تاريخ الفلسفة اليونانية ، الطبعة السادسة ، ص ١١٤) »

الحياة العملية قبسا من نور المثل والحقائق الخالدة. أما الجيل الشاب فوجد قيمة الحياة في تأمل الباطن ، في بهجة الرؤية والنظر الخالص بهذا تحولت مثل الإصلاح السياسي والأخلاق عند أفلاطون إلى التأمل العقلي المترتب بالروح الدينية : - ولقد أكد «يجر» أن أرسطو كان يقف في هذا الكتاب على أرض ميتافيزيقية مختلفة عما نجده في كتاباته التعليمية المتأخرة ، وأن الأفكار الأساسية فيه أفكار أفلاطونية تحمل طابع معلمه الكبير سواء في لغتها أو موضوعاتها ، بل إن الكتاب يردد في زعمه نظرية المثل ويذكر رأى أفلاطون المتأخر في أنها أعداد ، ويقتبس منهاج أفلاطون في عرض الأخلاق على طريقة أصحاب المندمة : وكل هذا يؤكّد في رأيه أن أرسطو ظل في هذا الكتاب وفي سائر محاوراته الصائعة وفيما لأفلاطون ، وأنه لم يصبح «أرسططاليه» إلا بعد أن مات أستاذه ومر في حياته بأزمة باطنية حادة :

.. بيد أن النظرة إلى فلسفة أرسطو قد تغيرت بعد إعلان «يجر» عن هذه الآراء . وأثبتت بعض العلماء - منهم الأستاذ «أنجمار ديرنج» الذي ألف كتابا ضخما عن تفكير أرسطو ونشر النص الذي نعتمد عليه وحققه - أن هذه الآراء التي ذهب إليها «يجر» لا تستند إلى كتابات أرسطو ولا إلى التراث القديم من مؤلفات المؤرخين وكتاب السير : أضفت إلى هنا أن لغة أرسطو ومصطلحاته الأساسية لم تكن تغيرت منذ أن كتب «الطوبيقا» أو الموضع الجدلية التي ثبت أنها تسبّكتاب الذي بين أيدينا بحوالي عشر سنوات^(١) . والأهم من هذا كله أنهم قدموا الأدلة اللغوية وال الموضوعية على أن « البروتريتيقوس » ليس من كتابات الشباب لأرسطو ، وأنه كان قد قضى عند كتابته أكثر من خمسة عشر عاما في البحث والتعليم في الأكاديمية ، وأن

(١) وهذا هو رأى دي سريكر E. De Strycker في بحثه عن تصورات أرسطو ومحاجاته في الطوبيقا وظهر في منشورات الندوة الأرسطية الثالثة ، أكسفورد ١٩٦٨ .

الكتاب نفسه قد وضع حوالي سنة ٣٥٠ ق . م . ، أى عندما كان أرسطو في الرابعة والثلاثين أو الخامسة والثلاثين من عمره وفي أوج تفكيره ونشاطه العقلي ، وفي نفس الوقت الذى كتب فيه أفلاطون رسالته السابعة (١) . وإذا كان من المستحيل اثبات هذا التاريخ بالدليل القاطع ، فهو في رأى « ديرنج » أقرب إلى الصواب من غيره والمهم على كل حال أن الكتاب يعطينا فكرة طيبة عن تفكير أرسطو في هذه المرحلة من حياته الخصبة الحادحة لامها إذا تذكرنا أنه لم يعد النظر فيه على عكس ما كان يفعل مع كتاباته التعليمية الأخرى ، وأننا لا نملك كتابا آخر من كتبه يحمل نفس الدعوة التي يحملها هنا الكتاب أو يوحى بها ، وأن معاوره « السياسي » التي يُعلن أن « يامبليخوس » قد نقل عنها أيضا قد ضاعت ولم تبق منها سوى شذرة ضئيلة لا ثبت شيئاً ..

لا يزال العلماء كما قلت مختلفين حول تفسير « البروتريبيتicos » وترتيب أجزائه ، وذلك منذ أن بدأ « يجر » محاولاتهم المستمرة حتى اليوم . ولكنهم لا يختلفون في أصل النص الذى وردت أجزاء كبيرة عنه « يامبليخوس » (في كتاب اختار له نفس الاسم) والمؤرخ اليونانى « ستوبابايوس » وكذلك فى إحدى برديات « أوكميرنوكوس » تحت رقم ٦٦٦ - ٤ (٢) . ولقد مضى أكثر من قرن على الفرض السابق الذكر الذى قدمه « بابيوفتر » مع نصوص الكتاب الذى وجدها عند يامبليخوس ورجح نسبتها لأرسطو . واتصلت المناقشات حول

(١) كتب أفلاطون هذه الرسالة المأمة - التي تروى كفاحه المأسوى لطبيعته السياسية الأخلاقية في سير أقوزة - ٥٥ عندما كان في العقد الثامن من عمره . راجع نصها الكامل في كتاب: « المتقد - قراءة لقلب أفلاطون »، دار المعارف بالقاهرة (تحت الطبع)

(٢) لا يشد من هذا الرأى سوى الباحث و بج . رايتونس في بعض السابق الذكر ، اذيرفض اعتقاد أي نص من هذه النصوص وقبول صحة نسبتها الا إذا ذكر اسمه صراحة أو أشير بوضوح إلى نسبة له ، وهو رأى لا وزن له في تحقيق المصادر ونقد لغة النصوص وتحميصها .

هذا الفرض طوال هذا الزمن قبل أن يفكر أحد في نقد النص منهجاً أو يشرع في تحليل كلاماته وأسلوبه ومضمون معانيه وتطابقها مع نظائرها في صائر كتبه البعيدة عن الشك ولا يريد أن تدخل في دقائق هذه التحليلات اللغوية والنقديّة المضنية للأسباب التي ذكرناها من قبل . ولكتنا نكتفي بالاشارة الموجزة إلى أهم هذه المحاولات لعلها تقدم لنا لمحّة عن عمق البحث العلمي الذي نكتفي في العالم العربي بالوقوف عند سطحه أو نهب رذاته !

ربما كان الاستاذ المسويدى « انجمار ديرنج » هو أهم هؤلاء الباحثين الذين عكفوا على هذا الكتاب فقد نشر بمحчин كبارين (١) عن الكتاب نفسه وعن أرسطو وعرض تفكيره وتفسيره ، وقدم النص اليونانى وحلل كلاماته وأسلوبه وقابلة بكلمات الكتب الأرسطية المعتمدة وأسلوبها وأفكارها الأساسية كما قدم معه ترجمة ألمانية للنص المختلف عليه . والنص الذى قدمه وأعاد بناءه يضم ٦٤٠٠ كلمة وضع فهرساً لسبعينات الكلمة مختلفة منها ثبت له أن اثنى عشرة الكلمة منها فقط لا يوجد لها في كتب أرسطو الأصلية وإن كانت من الكلمات المألوفة عند أفلاطون أو عند كتاب العصر ، والأهم من هذا أنه قدم الأدلة الكافية على أن أسلوب الكتاب في أدق تفاصيله أسلوب أرسطي لاغبار عليه ، ومحى الموارض التي يعمد فيها « ياميليخوس » إلى اختصار النص

(١) وما حل الترتيب : بروتريتيقوس أرسطو ، عاولة لإعادة ينانه - جوتيربورج ١٩٦١ ، أرسطو ، عرض تفكيره وتفسيره ، هيدلبرج ١٩٦٦ ، بروتريتيقوس أرسطو ، النص اليونانى وترجمته والتعليق عليه (سلسلة النصوص الفلسفية ، كلومستمان ، فرانكفورت سنة ١٩٦٩ .

1. Aristotle's protrepticus. An attempt at reconstruction.
Göteborg, 1961.
2. Aristoteles. Barstellung und Interpretation seines Denkens.
Heidelberg, 1966.
3. Der Protrepticus des Aristoteles. Klostermann Texte, Frankfurt-M. 1969.

الأصلي أو التعبير عنه بأسلوبه إلى حد المزوج في بعض الأحيان عن
 أسلوب المعلم الأول وأفكاره - إنما تدل جميعها على أن هذا الأفلاطونى
 الجديد قد نقل عن أرسطو في معظم الأحوال فقرات طوبية نقا
 حرفيًا لاشك فيه ، سواء من كتابه المذكور أو من بعض كتاباته
 الأخرى التي تولى نشرها بنفسه (وهي الكتب المنشورة أو غير العلمية
 بالمعنى الدقيق التي كان يقصد بها عامة المثقفين)، تمييزاً لها عن الكتب
 «المستور» أو الفلسفية البحتة التي كانت تدرس في اللوقيون) . ولقد
 رجع الباحث السويدي أيضًا أن هذا الاختصار والترتيب من جانب
 يابليخوس لم يغره مع ذلك بتزييف النص أو خلطه بنصوص أفلاطونية
 أو غير أفلاطونية غريبة عليه . وهذا يعني أحتمال أصلية النص أكبر من
 عدم أحتماله ، اذ يستحيل كما قلمنا أن يقطع في أمره على وجه اليقين (١) ،
 كما أن المحاولات المختلفة لترتيب النص مستظل محاولات لا تختلف
 عن بعضها إلا بقترب ما يقدم كل منها من الأدلة العلمية والنقدية ، وبقدر
 ما تعتمد على الحجة والبرهان - وهي كلها دليل متعدد على أن العلم
 نفسه محاولة ، ويسيق محاولة بشرية لا يفسدها إلا الكذب والتسرع وادعاء
 اليقين المطلق ...

تلك - باختصار - هي محاولة « ديرنج » التي انتهى منها إلى أن
 الذى أعاد ترتيبه وتحقيقه نص أرسطى أصيل ، وأننا نملك الجزء الأكبر
 من الكتاب أو المحاورة المفقودة ، بل إننا نستطيع أن نحدد بدايته ونهايته
 بما يشبه اليقين ، كما نستطيع أن نضع أسلوبه وأفكاره ومنهجه في إقامة

(١) يزيد هذا الرأى ينساً الأستاذ فلاشار Flashar H. في بحث له بعنوان : أفلاطون
 وأرسطو في « بروتريتيقوس » يابليخوس . المجلة الأمريكية لعلم اللغة ، ٤٧ - ص ٥٣ - ٧٩
 .. ١٩٦٠

المحجة (١) والاستشهاد بأمثلة من الحكم الشعبية .. الخ في سياق الفلسفة الأرسطية على وجه الاجمال ..

بُو أن نشير إلى محاولتين آخرين في بناء النص وتحقيقه قام بهما الأستاذان أ. ه. كروست ، وج شنفيش : أما الأول فقد تابع «ديرنج» صراحة في تحقيقه للنص وتقديره له وأضاف إليه بعض التعديلات التي لاستحق الذكر (٢) . وأما الثاني فقد اكتفى بنشر النص اليوناني كما ترجم له بغير ترجمة حديثة ولا تعليلات ، وذلك في رسالة للدكتوراه قدمها في سنة ١٩٦٦ إلى جامعة ميونخ (٣) . ويختلف ترتيب النص في هنا البحث إختلافاً كبيراً عن طبعة «ديرنج» : فالمؤلف يعتمد - بجانب النص المأثور عن يامبليخوس على مواضع مختلفة من نصوص أرسطو المعروفة في كتبه التعليمية (كالأخلاق الأوديغية ، والأخلاق اليقومانجية والسياسة ، ومقالة الأنفال من كتاب الميتافيزيقا) ، بل يضيف إليها نصوصاً أخرى من كتب مؤلفين مختلفين - مثل «بروتريبيقوس» المتسبب لايزوقراطيس (المعاصر لأرسطو) والمهدى إلى دومينيكوس -

(١) من المعلوم أن أرسطو يبدأ عادة من فرض أو سؤال و نقطة ينطلق منها ثم يسير في إقامة الحجية عليها حتى يصل إلى نتيجة ، ويعود فيها من نقطة ثانية وثالثة يصل إلى النتائج المرتبة عليها ، ومن هذه النظيرات التتربيبة كلها يصل إلى تعريف ثالث أو نتيجة أخرى تفهم شبكة النتائج الفكرى كله في «مقنة» مقتضى ...

(٢) وذلك في بحث الذى نشرته له مطبعة جامعة نوردام (ولاية إنديانا الأمريكية) سنة

: ١٩٦٦

A. H. Chroust; Aristotle : Protrepticus. A Reconstruction. (٢)
Univ. of Notre Dame Press (Indiana) 1964, 110 p.

G. Schneeweiss; Der Protreptikos des Aristoteles Dissertation
München, Bamberg 1966, 338 S.

يمانب نصوص من كتابات سترا ابو^(١) وجالينوس^(٢) ، وديوجينيس لاتيرتونس^(٣) ، وميتريلوس ، وستوبابوس: ويضم الباحث كل هذه النصوص إلى نص يامبليخوس وبردية أكمير نкосس اللذين اعتمد عليهما «ديرنج» و«فلاشار» ، وذلك دون أدنى مبرر مقنع يسوغ ضمها إليه أو بالأحرى حشرها فيه :: فقد تكون نصوصا قريبة من أفكار الكتاب الأصلي ، ولكن وضعها فيه أمر يثير التساؤل ولا يساعد على مزيد من الفهم والاقتناع :

ولاشك أن الحكم على مثل هذه المحاولات وترجح إحداثها على الأخرى أمر يستلزم اتقان اللغة الأصلية التي كتب بها أرسطو والاطلاع التام على تفاصيل مذهبة والمعرفة الحقيقة بتطور تفكيره وهي أمور—لأمر واحد!—لا يستطيع كاتب السطور أن يدعها لنفسه.

إن محاولته تقديم هذه الدعوة الملحمة إلى الفلسفة لقارئه العربي ستظل أضياع هذه المحاولات وأكثرها تواضعاً، وإن كانت هي كل ما استطاع تقديمها في حلواد علمه وجهده، ونثرة المراجع التي يعن بذيه!

• • •

وأخيراً فلابد من ذكر بعض الملاحظات عن أسلوب في تعریف النص والتعمیق عليه في المواصل و التعليقات الملتحقة به، والزيادات التي رأیت إضافتها إلى النص نفسه. رغبة في المؤيد من الوضوح :

(١) المؤرخ والرحلة الاغريق الشهور ، من حوالى ٦٤ ق . م إلـى حوالى ٢١ ب . م .

(٢) من القرن الثاني بعد الميلاد ، أشهر أطباء العصر القديم بعد أبقراط ومورسن علم وظائف الأعضاء .

(٢) مبى ذكره فى بداية هذه التقىم .

لقد قرأت النص فأذهلتني الكلوز التي ينطوى عليها . وأعدت
قراءته مرات قبل أن يتحرك في نفسى الدافع الملحق لنقله إلى العربية .
كنت في البداية أستبعد الفكرة لافتقارها لاشتقاق مما مستحبه من عناء ، ولعلى
بأن معرفتي المتواضعة باللغة اليونانية لا تسمح لي بمواجهة النص ومشكلاته
وتحدياته (وكانت قد تعلمت هذه اللغة قبل عشرين سنة ثم طاحتها مرارة
الأيام !) ولكن حبي للنص واعجابي بعظمة صاحبه لم يتراكم على فرصة
للتردد . رحت أنقله وأراجع كل كلمة وكل سطر على الترجمة
الألمانية الحديثة المواجهة له في الطبعة التي بين يدي . وإذا كان من
حق أن أقول بأننى استوعبت النص الأصلى - باستثناء عبارات قليلة
أشرت إليها في المامش - فإن من واجب الأمانة أن أعترف بأنه لولا
الترجمة الألمانية التي قام بها الاستاذ « ديرنخ » ماتأكدة من صحة
عبارة واحدة نقلتها ، ولا تجرأت أصلًا على هذه المحاولة . وهذا يطيب
لي أن أسجل شكري وعرفاني بجهود هذا العالم الجليل ، ففضلة على
وعلى هذا الكتاب الذى بين يديك لا يمكن أن يجد الكلمات التي تفيه
حقه .

وقد اعتمدت على شروح محقق النص وناشره ، واستعنت بها على كتابة الموسوعات والتعليقات . ولم أثأر أن أنقل على القارئ العربي بكلمات يونانية لم أجده داعياً للإكثار منها ، فاكتفيت بالإشارة في الموسوعة لما وجدته ضرورياً لا غنى عنه في التعرف على المصطلحات الأرسطية الأساسية . ولكنني لم أستطع في نفس الوقت أن أهمل حاجة الباحث المتخصص في الفكر اليوناني عموماً والفكر الأرسطي بوجه خاص إلى مزيد من التفاصيل . فأضفت التعليقات التي تجدها ملحة بالنسبة بالنص ، وأعتمدت في جانبيها الأكبر على تعليقات الناشر نفسه ، مع إضافات يسيرة لاتقلل → بل تزيد → من امتناني له وعرفاني بفضلاته . وقد كان الأغراء بالزيادة من التفصيات كبيرة . وكان من الممكن الرجوع إلى

المصادر المشار إليها (وخصوصاً عاورات أفلاطون وبالأخص الجمهورية) رغبة في المزيد من التعمق في جنور الفلسفة الأرسطية والتعرف إلى « الآباء » الذين ينحدر منهم نص هذا الكتاب وكثير من عباراته . ولكنني اقتصرت على التوسيع - المحدود - في بعض الجوانب العامة عن فلسفة أرسطو، حتى يخرج القارئ بتصور جميل عن جنور شجرته وثمارها ، ويربط هذا الكتاب في ذهنه بقدر الامكان بالسياق العام لتفكير المعلم الأول وتطوره .

وإذا قدر للكتاب - وناقله ! - أن يشهد طبعته الثانية، فسوف أراجع هذه التعليقات وأضيف إليها ما يستحق الإضافة وأعدل منها ما يحتاج للتعديل .

وقد دفعتني الرغبة في الوضوح والتيسير على القارئ أن أضع بين توسين كلمات تربط بين عبارات أرسطو المعروفة بالتركيز المرهق والإيجاز الشديد . كما التزم بالترقيم العلمي الذي وضعه الناشر المحقق لفقرات الكتاب ، وهو تقليد متبع فيسائر الطبعات المعتمدة لأرسطو وغيره من الكتاب الكلاسيكين : وبهمنى قبل كل شيء وبعد كل شيء أن يجد القارئ في هذا الكتاب - بجانب الفائدة العلمية الخالصة - شيئاً من المتعة والبهجة العقلية التي أشاد بها المعلم الأول وأوشك أن يجعلها غاية الحياة على هذه الأرض . وأمل أن يخرج منه القارئ العربي وهو أقدر على الفلسف ، أي التفكير الكلي الحر الذي اشتلت حاجتنا إليه مع توالي المحن والآلام :

وَانْ تَطْلُعْتِ لِلْمَعْرِفَةِ ، أَى عَزِيزِي ثِيمِيُسُونَ (١) ، وَسَعَيْتِ إِلَى الرَّفْعَةِ
وَالْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ أُمُورٌ أَعْلَمُهَا عَنْ طَرِيقِ السَّمَاعِ ، وَانِّي لِمُقْتَنِعٍ « (ب١) »
بِأَنَّهُ مَامِنْ أَحَدٍ يَمْلِكُ أَنْسَبَ مَا تَمْلِكُ مِنْ مَلَكَاتِ (٢) تَعْيِنُكَ عَلَى الْأَقْبَالِ
عَلَى الْفَلْسَفَةِ ؛ فَإِنْتَ غَنِيٌّ ، بِمَحِيطِ يَمْكُنُكَ أَنْ تَنْفَقَ عَلَى تَعْلِمَهَا (٣) ،
وَأَنْتَ كُلُّكَ تَحْتَلُ مَكَانَةً مَرْمُوقَةً ، وَيُعْتَقَدُ مُعْظَمُ النَّاسِ أَنَّ الْحَيَاةَ
السَّعِيدَةَ تَعْتمَدُ عَلَى اِمْتِلَاكِ الْحَيَّرَاتِ الْخَارِجِيَّةِ ، وَهُمْ (لَا يَنْهَاوُنَ إِلَى هَذَا)
الرَّأْيِ) بِغَيْرِ مِبْرَرٍ ، فَنَحْنُ نَلَاحِظُ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَوْقُنُونَ فِي جَمِيعِ
شَوْتِهِمْ وَيَبْلُغُونَ النَّجَاحَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ حَقْعَهُمْ . وَلَا شَكَّ أَنَّكَ صَادَفْتَ
فِي حَيَاكَ حَالَاتٍ أُخْرَى حَدَثَتِ فِيهَا الْعَكْسُ : وَقَدْ يَمْكُنُكَ ، مِنْ مَعْرِفَتِكَ
بِالْمَاضِي أَوْ مِنْ تَجْربَتِكَ الْخَاصَّةِ ، أَنْ تَذَكَّرَ عَدْدًا مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي كَانَ
فِيهَا الْغَرْوُرُ سَبِيلًا لِلسَّقْطَةِ (٤) : لَقَدْ عَرَفَتْ رِجَالًا أَسْرَفُوا فِي الثَّقَةِ
بِالثُّرُوةِ وَالْحَلْظِ وَالْقُوَّةِ وَهَذَا قَضَى عَلَيْهِمْ بِالْأَنْدَارِ (إِلَى هَاوِيَّةِ) الشَّقَاءَ .
وَعَلَى قَدْرِ تَفْوِيقِهِمُ الْسَّابِقِ فِي النَّجَاحِ يَشْتَدُ عَمْقُ إِحْسَانِهِمْ بِالْإِخْفَاقِ
وَسُوءِ الْحَلْظِ وَيَشْعُرُونَ بِالْجُبْلِ مِنْ أَنَّ وَضْعَهُمُ الْحَاضِرِ (ب٢) لَا يَخْفِرُهُمْ
عَلَى الْتَّوْضِيْبِ بِمَا يَرَوْنَهُ وَاجِبًا (مَفْرُوضًا) عَلَيْهِمْ .

وَلَا كَنَا نَلَمِسُ (٥) نَكَدَ الطَّالِعِ الَّذِي يَلْمِ بِهُولَاءِ النَّاسِ ، فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ
نَتَحَشَّى مِثْلَ هَذَا الْقَدْرِ وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمَسَادَةَ فِي الْحَيَاةِ لَا تَقُومُ عَلَى اِمْتِلَاكِ
الثُّرُوةِ الْكَبِيرَةِ ، وَأَنَّمَا تَعْتَمِدُ عَلَى الْحَالَةِ الْفَسَيْلِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ (٦) وَكُلُّكَ
الْأَمْرُ فِيهَا يَتَعْلَقُ بِالْحَسْنِ . فَلَنْ يَصِفَ اِنْسَانٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بِأَنَّهُ « مَبَارِكُ
الْحَلْظِ مِنَ الْآَمَمَةِ » لِجَرْدِ أَنَّهُ يَرْتَدِي ثِيَابًا فَخْمَةً ، بَلْ سَيَخْلُمُ هَذِهِ الصَّفَةِ

(١) هُوَ مَلِكُ قِبْرِ صَوْنِ أَوْ أَمِيرِهَا الْمَجْهُولِ الَّذِي يَتَرَجَّلُهُ أَرْسَطَهُ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْحَلْظَ (أَنْظُرِ الْمَقْدِدَةَ) .
وَالسُّطْرُانِ الْأَوَّلَانِ زِيَادَةً عَلَى النَّصِّ أَكْسِلَهَا « دِيرِنْجَ » مَهْتَدِيَا بِنَاجَ منْ كَيَابَاتِ إِيْرَوِقَاطِيَّسِ .

(٢) هُى فِي النَّصِّ الْأَصْلِ شِيرَاتُ أَوْ طِيَّاتُ Agathia diyafatā وَفِي التَّرْجِيمَةِ الْأَمَلَانِيَّةِ شُرُوطٌ مُبَقَّةٌ .

(٣) أَى تَسَاعِدَهُ عَلَى اِجْتِلَابِ الْمُلْمِنِ الْأَكْفَاءِ . قَارِنْ كُلُّكَ بِ ٣٠ مِنَ النَّصِّ .

(٤) أَوْ جَاءَ فِيهَا الْغَرْوُرُ وَالْقَطْرَسَةُ قَبْلِ السَّقْطَةِ .

(٥) وَلَا كَنَا نَرَى أَوْ نَشَاهِدُ وَنَعْيَسِنْ

(٦) وَهَذِهِ فَكْرَةُ أَسَاسِيَّةٍ - مِنْ أَفْكَارِ سَقْرَاطَ - رَاجِعُ الدَّفَعَ (الْأَبُولُوْجِيَا) ٣٠ بِ

على من وهب الصحة وتمتع باللزاج الصحيح ، حتى ولو لم يكن له أدنى نصيب من الزخرف الخارجي (١) . وبالمثل لا يصف المرء نفسها بأنها سعيدة إلا إذا كانت نفسها مثقفة ، ولا إنسانا بالسعادة إلا إذا كان مهذبا ، ولكننا نمنع هذه الصفة عنمن يتخل بظاهر الزينة الفخمة دون أن يكون له أية قيمة في ذاته . ويصدق هذا أيضا على الحصان ، فمهما يكن من بلحامه النبوي وحلاه الشمينة فلن نضفي عليه أى قيمة مادام لا يصلح لشيء غير ذلك ، وستفضل عليه حصانا آخر (ننوص فيه) الصفات الطيبة (٢) (ب ٣) ثم إن من عادة المنحطين من الناس (٣) إذا حصلوا على ثروة طائلة أن يقدروا قيمة هذه الثروة تقديرًا يتفوق تقديرهم لخيرات النفس ، وهذا هو أحقر شيء (يمكن تصوره) . ولو ظهر سيد في مظهر من هو أقل شأنًا من خدمه لأصبح عرضة للسخرية والاسهزاء وكذلك يتحم علينا أن ننشر في زمرة التعساء (٤) أولئك الذين يحملون لاكتساب الثروة أهمية تفوق (العنایة) بطبعهم وأخلاقهم . (ب ٤) الواقع أن هذه هي الحقيقة؛ فا لتتخمة ، كما يقول المثل السائر ، تلد الفطرة؛ وإذا ما اقترن النقص في التربية (٥) بالقوة والسلطة تولد عن ذلك الجنون . وأولئك الذين ساعت نقوصهم لن ينفعهم التراء ولا القوة ولا الجمال شيئا ، بل كلما توافرت هذه الأمور ازداد ضررها على صاحبها عمقا وتنوعا ، ولذلك إن لم تقرن بالتبصر (والحكمة) (٦)

(١) تعد الموزة بين التجانس الجسني والثنوي إحدى الأفكار الرئيسية عند أفلامtron - رابيم عماردة جورجياوس ٤٧٨ ، ٢٠٣ ، ٢ .

(الدفاع ، ٢٠) كثيّر في مجتمعه خطب أيزوغرابيين «انتيوزيس» ٢١١ - ٢١٠ .

(٤) هذا هو المعنى المأرق ، وهو ينفي كذلك انعدام الشفاعة والتأليّب ، وليتنا نترى
عند هذه العبارة المصمة .

(٦) هذه فكرة مألوفة عند أفلامون ، فالمثير عنده لا يمرره للأستير ، وصاحب النفس الشريرة يطيلها لن تعيده سرقة المسر ، أنظر الرسالة السابعة (وتحدها في كتاب المتنق) ، قراءة لقلبي

إن مثل القائل : « لاتعط السكين للطفل » يعني ألا تضع القوة في أيدي الرعاع (١) (بـ ٥) ان التبصر الفلسفي (٢) – وهذا ماسوف يوافتنا عليه الجميع – هو ثمرة الجهد البخاد والبحث عن الأشياء التي تؤهلنا الفلسفة للبحث عنها . هلا يتهم علينا – دون جلوء إلى مباحثات لفظية – أن ننفلسف :

وفي هذا الصدد نقول : (ب ٨) إن ما يقع تحت تصرفنا لتمييز
شئون الحياة ، كابلاسدة وما يخدم الحسد ، إنما يقع تحت تصرفنا كنوع من
الأداة واستخدام هذه الأدوات مقرن باللطم ، فهني تؤدي إلى عكس نتيجتها
(على يد) أو لثلاث الذين لا يحسنون استعمالها. وهذا يجب علينا أن نسعى إلى معرفة
تعينا على استخدام كل هذه الأدوات على الوجه الصحيح ، كما يجب
 علينا أن نسعى إلى تحصيل هذه المعرفة وتطبيقاتها بطريقة ملائمة. يجب
 علينا أن نصبح فلاسفة إذا أردنا أن نصرف شئون الدولة بصورة صحيحة
 ونشكّل حياتنا الخاصة بطريقة نافعة (ب ٩) بيد أن المعرفة على أنواع

—أفلاطون لكتاب هذه السلور كذلك القرآن ٧٤٣ — (إن أولئك الذين يفتقدون الخير يفتقدون السعادة) ، والجمهورية ، الكتاب السابع ١٣٠، ٣٠١ بـ ، والقوانين ٦٦٠ هـ — ولعل هذه الفكرة الموجة عند أفلاطون ترجع إلى ايمان سocrates بأن الخير هو الأصل في كل شيء ، ومن لم يعرف الخير فلن يعرف شيئاً (أنظر دفاع سocrates) (١) حرفياً : لاتخطِّ القوة أو السلطة السفلة والرعناع « وهي كذلك عبارة تستحق من التأمل والنظر والأعتبار .

(٢) أو التغلف والنظر العقل الحالى .

(٢) أو اللدعوات التي تنتهي حل الالحاد والمحث والتشجيع ..

المختلفة ، فهناك المعرفة التي تنتج خيرات الحياة ، وهناك المعرفة التي تستخلصها . وثمة تقسيم آخر : فهناك أنواع المعرفة التي تخدم وتطيع وهناك الأنواع التي تأمر : والأنواع الأخيرة أعلى درجة ، وفيها يمكن التعبير بعناء الحقيق : ولما كان هذا النوع الوحيد من المعرفة الذي يتوصل للحكم الصحيح ويستخدم العقل ويضع المثير في مجده نصب عينيه ونعني به الفلسفة هو الذي يستطيع الانتفاع بسائر أنواع المعرفة وتوجيهها وفق قوانين الطبيعة (١) ، فإن هذا دليل آخر على ضرورة التفلسف :

ذلك أن الفلسفة وحدها تتطوى على الحكم الصحيح والتبصر المعموم (من الخطأ) (٢) الذى يملك القدرة على تحديد ماينبغى علينا أن نأتى من الأفعال وأن ندع (ب ١٠) دعنا الآن نتعقّم سؤالنا ونتأمله من وجهات النظر الغائية لكي نصل إلى نفس التنبية (السابق) (٢)

(ب) ١١) من بين الأشياء التي تنشأ (وتكون) ما يدين (وجوده) بعضه للتدبیر (العقل) والمقدرة (البشرية على الصنعة) (٤) . كما هو الحال في البيت والسفينة اللذين يشرّطان المقدرة والتدبیر . ، في حين أن بعضها الآخر لا ينشأ عن طريق المقدرة البشرية (على الصنعة) بل بواسطة الطبيعة ؛ أن الطبيعة هي الاصل (٥) في الحيوانات

(١) يأْنَ تفصيل هذه النقطة في موضع آخر من النص (ب - ٤٧ - ٥٠) والارتفاع هنا
عثابة التلقيق والاستخدام .

(٢) هذا التisper أو التعقل الحكم الذي يأمرنا بما يصح أن نفعله وما لا يصح يقوم على فكرة أطلاطنية تجدها في عناوين السياس (٥٢٥٩ - ٥٢٦٠ ج) كما يرد ذكره عند أرسطوف في الأخلاق التي قوما فيه ، المقالة الثانية ، ١١٢٢٠ ، والمقالة الثالثة ، ٣ ، والمقالة الرابعة ، ١٢٤٩ ب ، وكل ذلك في الأخلاق الألبيجية ، الكتاب السادس ، ٢ ، ١١٤٣ .

(٣) يكشف أسلوب هذه العبارة عن تدخل يambilخوس في مياغها .

Technique (t)

(٤) أو العلة والسبب (التي

والنباتات ، وكل نشوء من هذا النوع يتم وفقاً للطبيعة . ولكن هناك أيضاً أشياء تنشأ عن طريق الصدفة . ونحن نقول عن معظم الأشياء التي لا تنشأ عن طريق الصناعة ولا الطبيعة ولا الضرورة – (نقول) إنما تنشأ عن طريق الصدفة . (ب ١٢) وليس فيها ينشأ عن الصدفة شيء له هدف أو غاية (١) (من كونه ونشوته) . أما الأشياء التي تنشأ عن المقدرة البشرية (على الصناعة) فلها غاية وهدف (لأن من يملك المقدرة سيبين لك دائماً لماذا كتب ولأى هدف) ، وهذا الهدف (نفسه) أفضل من الشيء الذي نشأ من أجله (٢) . وأنا أتكلم عن الأشياء التي تكون العلة فيها هي المقدرة في ذاتها لا بطريقة عرضية فحسب ؛ فإن الشفاء هو بالتأكيد علة الصحة قبل أن يكون علة المرض ، وفن البناء هو علة (تشييد) البيت لاعلة المعلم (٣) . فكل ما ينشأ عن طريق المقدرة البشرية إنما ينشأ من أجل تحقيق هدف معين ، وهذه ، هي غايته وأفضل شيء (بالنسبة له) . أما ما ينشأ عن طريق الصدفة فلا ينشأ هدف . ومع ذلك فقد يتحقق أن يتولد عن الصدفة بعض التغير ، غير أنه لا يكون خيراً من خلل الصدفة ومن حيث نشأته عن طريق الصدفة ؛ لأن ما ينشأ عن طريقها يكون دائماً غير محدد (ب ١٣) إن ما ينشأ وفقاً للطبيعة إنما ينشأ لأجل هدف بحيث يكون النتاج الطبيعي دائماً أكثر ملائمة للهدف من النتاج الفنى فليست الطبيعة هي التي تحاكى الصناعة (البشرية) ، بل هذه هي التي

(١) الهدف أو الغرض – Ἔνεσις - *Auxesis* - Telos - هنوكا - هنوكا -

(٢) هذه العبارة الموجزة توضح طبيعة التفكير الفائق عند أرسطو ، فالغاية دائماً هي الهدف الأخير ، وعلى تحقيقها يقوم كل كمال وترق في مستويات الوجود ، ولذا نجده يقول إن الهدف نفسه يفوق قيمته الشيء الذي نشأ من أجل تحقيق هذا الهدف كما يفوق الوسائل التي تؤدي إليه

(٣) تعبير هذه السطور عن الفكرة الأساسية التي يقوم عليها المنصب الفائق عند أرسطو ؛ فصلية الكون والنشوء تشير في خط متدرج لا يمكن أن يمكّن ، وذلك من الكون *genesis* - γένεσις إلى النمو *Auxesis* - αὔξησις إلى الغاية *Telos* - Telos - *Phthora* - Φθίσις فالفساد

تماكي الطبيعة ، كما أن المقدرة البشرية (على الصنعة) قد وجدت لمساندة الطبيعة وأكمل ماتركته ناقصاً^(١) . ذلك لأن من بين الموجدات ما يبلو أن الطبيعة وحدها قادرة على إتمامه بنفسها دون حاجة إلى مساعدة ومن بينها الآخر مالا تتمكن (من إكماله) الا بالجهد أو تعجز عنه عجزاً تاماً . ويتبين هذا لدى نشوء الكائنات الحية : بعض البنور تنفتح دون أدنى (قدر من) الرعاية ، أيا كانت الأرض التي تسقط عليها ، أما بعضاً الآخر فيحتاج إلى فن الزراعة ، وكذلك تستطيع بعض الكائنات الحية أن تنمو بنفسها تماماً كاملاً وأن تبلغ النضج ، على العكس من الإنسان الذي يحتاج إلى عدد كبير من المهارات الضرورية للمحافظة (على حياته) ، وهو يحتاج إليها في البداية بعد ولادته مباشرة ، ثم يحتاج إليها بعد ذلك لتغذيته . (ب ١٤) فإذا كانت المقدرة البشرية (على الصنعة) تماكي الطبيعة ، فمن الواضح أن غائية متطلبات القرفة البشرية أمر يعتمد على الطبيعة . ويصبح لنا أن نقول أن كل ما ينشأ نشأة ملائمة إنما ينشأ من أجل هدف (معين) . وكل ما يولد إلى شيء جميل قد نشأ نشأة صحيحة ، وكل ما ينشأ أو قد تم نشوئه بالفعل يتبع شيئاً جميلاً حين تم العملية الطبيعية بصورة سوية . أما ما ينشد عن الطبيعة فهو ردٌّ ومصادف لما يوافق الطبيعة . وهكذا تم النشأة^(٢) المسوية المطابقة للطبيعة لأجل تحقيق هدف معين (ب ١٥) ويمكننا أن نتبين هذا (من ملاحظة) كل جزء من أجزاء جسمنا على حدة . فإذا تأملت الجفن مثلاً وجدت أنه لم يتكون (عشاً) ولغير هدف ، وإنما وجد لحماية العينين وتوفير الراحة لها والخلولة دون نفاذ شيء من الخارج إليها . ونحن نقصد نفس الشيء عندما نقول إن الأشياء الطبيعية قد تكونت^(٣) لتحقيق هدف معين ، أو عندما

(١) انظر كذلك «الطبيعة» ، المقالة الثانية ، ٨ ، ١٩٩١ .

(٢) أو الكون السوي .

(٣) أو نشأت .

نقول إن الأشياء المصنوعة (١) قد أنتجت لغرض ما . فعندما يتم بناء سفينة لنقل البضائع عن طريق البحر يكون الهدف المقصود من بناؤها قد قدم بالفعل . (ب ١٦) ان جميع الكائنات الحية (أو على الأقل) أفضليتها وأورفها قدرًا قد نشأ عن الطبيعة وفي تطابق مع الطبيعة . ولا معنى للإعراض على هذا بأن أغلب الحيوانات قد نشأ ضد الطبيعة ، أي للإفساد والخلق الأذى والضرر : إن أسمى الكائنات الحية (التي تعيش على الأرض) هو الإنسان ، وهذا يدل بوضوح على أنه قد نشأ نشأة طبيعية وفي تطابق مع الطبيعة . (ب ١٧) فإذا كان الهدف دائمًا أفضل من الشيء (إذ أن كل شيء يكون— أو ينشأ— من أجل الهدف ، كما أن «لماذا» (٢) هي الأفضل على الدوام بل تتفوق جميع الأشياء في الفضل) وإذا كان الهدف المطابق للطبيعة هو آخر ما يتوصل إليه في مجرى الكون الطبيعي (٣) عندما يسير هذا سيرًا متصلًا نحو الكمال (٤) ؛ وإذا سلمنا إلى جانب هذا بأن الجسد هو أول ما يبلغ الكمال عند الإنسان ، ثم يأتي بعده ما يتعلق بالنفس ، وأن كمال الأفضل بالنسبة للكون (التشوه) إنما يأتي على نحو من الأشخاص دائمًا فيما بعد وإذا سلمنا بعد هذا بأن النفس تنشأ متأخرة عن الجسم (٥) ، وأن آخر ما ينشأ من (ملكات) النفس هو ملكة العقل (٦) (إذ انا نلاحظ أن هذه الملكة هي بطبيعتها آخر ما يتكون عند الإنسان . ولهذا كانت هي الخير الوحيد الذي تطبع الشيخوخة إلى امتلاكه) ؛ اذا سلمنا بهذا كله تبين لنا أن ملكة العقل بحسب طبيعتها هي هدفنا ، وأن استخدامها هو الغاية الأخيرة التي من

(١) أي الأشياء التي يتم إنتاجها بطريقة صناعية أو بواسطة القدرة البشرية على الصناعة .

(٢) أو « من أجل ماذا » - Heneka - Evexa .

(٣) أي في سياق العملية الطبيعية .

(٤) أو نحو تحقيق النهاية منه ، وهو المقصود دائمًا بالكمال عند أرسلو .

(٥) حرفياً : يبلغ الهدف أو النهاية ، وبلوغها كما سبق تمام والكمال .

(٦) أو بعد الجسد (٥) أو ملكة التبصر والتذير والتعلل .

أجلها نشأنا : وإذا صبح القول بأننا قد وجدنا (١) وفقاً للطبيعة ، فقد اتفق أننا نعيش أيضاً لكي نفكر في شيء ولكي نتعلم : (ب ١٨) قد دعنا نسأل الآن لأى موضوع من موضوعات الفكر (الفلانية) قد أو جدنا الله ؟ عندما مثل فيشارغورس عن هذا أجاب بقوله : «لكي تتأمل السماء» (٢) . وقد تعود أن يصف نفسه بأنه (إنسان) يتأمل السماء وأنه إنما جاء إلى الحياة من أجل هذا الغرض . (ب ١٩) ويروى أيضاً عن أنكساجراس أنه مثل عن الهدف الذي يمكن أن يتغيّر الإنسان من مولده وحياته فأجاب بقوله : لكي يتأمل السماء والنجم (الطالعة) فيها والقمر والشمس ، وكان كل ماعدا ذلك لا يستحق عناء الجهد (٣) . (ب ٢٠) هكذا يكون فيشارغورس قد زعم بحق (٤) أن كل إنسان قد أوجده الإله لكي يعرف وينظر ويتأمل . وسواء أكان موضوع هذه المعرفة هو (نظام) الكون أم أى طبيعة أخرى ، فذلك أمر قد نفحصه فيما بعد ، ويكتفى الآن ماقلناه ليكون أساساً نعتمد عليه . وما دامت الغاية - بمقتضى الطبيعة - هي ملكة التعلّق ، فإن أفضل الأشياء هو استخدامها (في التدبر والتفكير) . (ب ٢١) لهذا يجب على المرء أن يعلم مسائل الأشياء من أجل الخير الكامن في الإنسان نفسه ؛ ومن (مجموع) هذا الخير (يقوم) بالأمور الجسيمة من أجل (الأمور) النفسية (ويؤثر) الفضيلة من أجل ملكة التعلّق ، لأن هذه هي أسمى الأشياء جميعاً . (ب ٢٢) وتقدّمنا الفكرة التالية إلى نفس الهدف (وهو أن

(١) الوجود والنشأة والكون كلها تغير عن فعل الكون *Wirkung* .
الذى يتكرر بصورة مستمرة في لغة أرسطو .

(٢) عندما وجه سكان فليوس هذا السؤال إلى فيشارغورس .. الخ (زيادة التوضيح من الترجمة الألمانية) .

(٣) وكان كل ماعداها من الموجودات لاقية له . - راجع كذلك الكلمات الأخيرة التي ينتهي بها أرسطو هذه الرسالة (ب ١١٠) .

(٤) ووفقاً لهذه الحقيقة يكون فيشارغورث ...

من يريد أن يكون سعيدا فلابد له أن يتفلسف) . [ب ٢٣] لما كان النظام يسود الطبيعة كلها ، فإنها لا تفعل شيئا بالصدفة ، وإنما توجه كل شيء نحو هدف محدد. وهي حين تستبعد الصدفة (والاتفاق)^(١) تحرص على تحقيق المدف (أو الغاية) بقدر يفوق كل فن بشري ، إذ أن الصنعة البشرية^(٢) ، كما نعلم ، محاكاة للطبيعة . ولما كان الإنسان يتألف بحسب طبيعته من نفس وجسد ، وكانت النفس أعلى قيمة من الجسد . كما كان الأقل شأنًا يندرج دائمًا تحت الأفضل في سبيل تحقيق هدف معين . فإن وجود الجسد إنما يكون من أجل وجود النفس: ونحن نعلم أن النفس تكون في جزء منها عاقلة، وفي جزء آخر غير عاقلة ، وأن الجزء غير العاقل منها أقل قيمة (من العاقل) . ونستنتج من هذا أن الجزء غير العاقل يوجد من أجل الجزء العاقل . والجزء العاقل يحتوى على العقل^(٣) . وهكذا يسوقنا البرهان ضرورة إلى (القول) بأن كل شيء يوجد من أجل العقل [ب ٢٤] إن فاعلية العقل هي التفكير^(٤) ، والتفكير يقوم على النظر في موضوعات الفكر^(٥) ، على نحو ما تكون فاعلية (عضو) الإبصار هي رؤية المرئيات . هكذا يجعل الفكر والعقل كل شيء جديراً بأن يسعى إليه بني الإنسان^(٦) ، إذ تكون بقية الأشياء جديرة بالسعى إليها من أجل النفس ، والعقل هو أرفع

(١) أو حين تغزو مائيم بطريق الصدفة أو بطريقة عرضية .

(٢) أو القدرة البشرية على الصنعة .

(٣) كلمة المقليل *Ho Nous & voīē* من الكلمات الأساسية التي تحتمل معانٍ متعددة في اللغة اليونانية ، فيمكن أن تكون هي الفهم ، أو الروح العاقلة ، أو الحس . وقد فضلت التعبير عنها بالعقل تارِكاً التقليل أو التدبر والتأمل والتعمير لكلمة *γνῶσης* *He Phronesis* – التي تكرر في هذا السياق .

(٤) أو فعل العقل *Energeia* *Ενέργεια* ونشاطه هو التقليل .

(٥) أو هو رؤية ماهيات التفكير والمتقلل .

(٦) أو هكذا يكون الفكر والعقل هما اللذان يحملان كل شيء جديراً بالسعى إليه من من الناس .

الأمور قيمة في مجال النفس ، ومن أجله (وحله) يكون بكل شيء آخر (ب ٢٥) وتكون بعض الأفعال العقلية حرجة حرية كاملة ، وهي الأفعال التي تتحقق لذاتها^(١) : أما الأفعال العقلية التي تتبع المعرف لأجل أي شيء آخر فهي تشبه الخدم أن كل ماتم فعله لذاته يفوق دائرتها في قيمته ما يكون (فعله) وصلة لشيء آخر ، وكتلث يكون الحر أعلى قدرًا من غير الحر :

[٢٦] ونحن عندما نستعين في سلوكنا بالتفكير (٢) فإنما نهتم بهديه حتى ولو وضع المتفكر مصلحته الخاصة نصب عينيه وحدد أسلوب فعله وسلوكه من خلال وجهة النظر هذه : انه ليستخدم جسده (عندئذ) كما يستخدم الخادم ، بل إنه ليضطر إلى افساح مجال كبير للصدفة ، وهو على العموم يقبل على تلك الأفعال التي يقوم فيها التفكير (العقل) بدور أساسى ، حتى لو استلزم الأمر منه في غالب أعماله أن يستخدم الجسد استخدام الأداة . (٣) (ب ٢٧) وهكذا نرى أن التفكير المحسن الحالص من الهدف أشرف وأقيم من التفكير الذى يكون (مجرد) خادم (يتولى به) لبلوغ شيء آخر : إن التفكير الحالص يستمد شرفة من ذاته ، وحكمة (العقل) هي الشيء الذى يستحق (من الإنسان) أن يسعى لطلبه منه ، كما أن الفعلة العملية في الحياة^(٤) جديرة بالسعى

(١) راجع كذلك من السعى إلى المعرفة الحرجة الحالص من كل حرف هذه العبارات المشهورة في كتاب «الإنقا» من الميانيزينا ١ - ٢ ، ٩٨٢ ب ١٩ - ٢٨ .
(٢) أو التدبر والتأمل .

(٣) يلاحظ القارئ أن هذا النص لا يخلو من التسوض والاضطراب ، وإن كان السياق العام يحمل الفكرة واضحة . وقد اعتمدت هنا على ترجمة «Dirksen» لصورية النص الأصل .
(٤) أو التدبر الذى يوجه السلوك العمل ويهدى . ويلاحظ أن الكلمة الأصلية (فرونيزيس Phronesis) التي تذكر ب بصورة مستمرة في هذا الكتاب تعنى الحكمة أو التبصر والتأمل النظري الحالص من ناحية ، كما تعنى الفعلة العملية في أمور السلوك والحياة العملية والأخلاقية من ناحية أخرى . ولماذا يستخدمها أرسطو في هذا الكتاب يطلبين المختفين على حسب السياق ، وليس صحيفاً أنه يوجد هنا بين المتبين على طريقة أفلاطون في التوحيد بين السلوك العملي والمعرفة النظرية كما تصور «بيجز» .

إليها من أجل الفعل (أو السلوك) . وإذا فانحير والشرف ملازمان للتفكير الفلسفي قبل كل شيء آخر ، وإن لم يلزما بطبيعة الحال أى نوع من هذا التفكير كييفما اتفق ؛ إذ ليس كل تصور بوجه عام مقرورنا بالشرف وإنما تتوقع من تفكير المعلم الحكيم وحده^(١) . عندما يتوجه هذا التفكير إلى المبدأ السادس في الكون – أن يكون قريباً من الحكمة وأن يكون حكمة بالمعنى الحقيقي^(٢) . (ب ٢٨) إن الإنسان إذا حرم الادراك الحسي والعقل صار شيئاً بالنبات ؛ وإذا حرم العقل وحده تحول إلى حيوان ؛ أما إذا تحرر من غير المعقول^(٣) وتمسك بالعقل فقد صار شيئاً بالإله (ب ٢٩) ذلك أن العقل ، الذي تتميز به عن سائر الكائنات الحية ، لا يتحقق بصورة كاملة^(٤) إلا في ذلك الشكل (من أشكال) الحياة الذي لا يعترف بالاتفاق (والصدق)^(٥) ولا بما هو عديم القيمة . صحيح أن لدى الحيوانات ومضات ضئيلة من الفطنة والعقل ، غير أنها لا تتمتع بأدنى نصيب من الحكمة النظرية^(٦) . فهذه الحكمة لا يوصف بها غير الآلة ولا تنسى الا للعقل الإنساني^(٧) . ومن جهة أخرى

(١) أو من تفكير أحد علمي الفلسفة أو كبار أساتذتها .

(٢) يحصل أن يكون مليخوس (في رسالته التي تحمل نفس العنوان وهو المثل على التخلف واعتمد عليها ناشر النص في إعادة بناء كتاب أرسطر المفقود – أنظر المقدمة) قد تدخل في صياغة هذه العبارات تدخلًا شديداً ترب عليه اضطرابها وتسلل الغرض إليها .

(٣) هو البزه الشهوان غير العاقل من النفس Alogos – Αλογός (وفي هذا الموضوع وقد فضلت أن أعبر عنه هنا وفيما تقدم بغير العاقل تجنبًا لما تلقى كلمة «اللامستقول» من خلال حديثة ..

(٤) لا يبلغ حقه الكامل ..

(٥) أو الذي لا يعترف بالمرتضى المتولد عن الصدقه والاتفاق . و واضح أن هذا النوع من الحياة هو الحياة النظرية Bios theoretikos Θεωρικός التي يهبها الحكمة والتأمل الخالص .

(٦) أي أنها تخلو خلواً تماماً من ملكة العقل والتدين والتذرر والنظر الفلسفي ، والأمثلة المعادة إلى يضر بها أرسطر على ذلك هي التحل والتسلل والمعاكب وطيرور الجنة (الستونو) ..

(٧) العبارة الأخيرة أضفاف من الناشر لصلاح النص الأصل .

يتفوق كثيرون من الحيوان تفوقاً بعيداً على الإنسان في حدة الإحسان وفى الغرائز الطبيعية^(١) (ب ٣٠) والحقيقة أن الحياة العقلية هي (الشيء) الوحيد الذى لا يمكن فصله عن الخير ، ومن المعروف به بوجه عام أنها متصمنة فى تصور الخير ، ذلك أن الرجل (التابىء) الرفيع القدر الذى يتبع حياته (طريق) العقل هو الذى لا يقع ضحية للصدقة ، بل يعرف أكثر من غيره من الناس كيف يحرر نفسه من (كل) ما يخضع لها . فإذا استطعت أن تهب نفسك دائعاً لهذه الحياة^(٢) عن اقتناع كامل أمكنك أن تحيا حياة آمنة مطمئنة : (ب ٣١) نحن جميعاً نختار ما يكون في نفس الوقت ميسوراً ونافعاً^(٣) . ومن ثم يجب الاعتراف بأن الفلسفة^(٤) تملك هاتين الصفتين وأن صعوبة تحصيلها أقل من النفع الذى تتيحه . ذلك أننا جميعاً نهم بأسهل (الأمور) وأيسراًها . (ب ٣٢) ومن السهل إثبات قدرتنا على إكتساب العلم بما هو عادل ومفيد ، كذلك على تحصيل المعرفة بالطبيعة وبال موجودات الحقيقة الأخرى^(٥) (ب ٣٣) إن الأولى والبساط يكون على الدوام أكثر من الثنوى والمركبا^(٦) ؛ وكذلك يكون الأعلى في سلم الأولويات الطبيعى

(١) أو الواقع الطبيعية ؛ راجع كذلك تاريخ الحيوان ٤ - ٢٩ ، ٥٧٨ من ٢٢ ، وكتاب السياسة ٢-١ ، ١٢٥٣ ، ٠٢٩ . ويلاحظ أن مفهوم الغريرة أو الواقع غير العاقل يؤدى دوراً كبيراً في كتاب أرسطو الأخلاق الكبرى والأخلاق الأبويديمية - (أنظر ما كتبه دير لمار في طبعته للأخلاق الكبرى (دار مشتات وبرلين ١٩٥٨) عن الغريرة غير المقابلة *Ἄλογος Ἁρμέ* - *Ἄλογος θερίς*)

(٢) أي الحياة النظرية التي يهبها صاحبها العنكبوت والتأمل العقل المتألس .

(٣) أي أننا نختار من كل الأمور ما يمكننا الوصول إليه والانتفاع به في نفس الوقت . ويلاحظ أن لغة الفقرة الأخيرة وأسلوبها يخالفان لغة أرسطو وأسلوبه المتاد ، مما يجعل بعض الشرائح المحققين علىظنهم يأبهلنيوس قد يصل إلى تلخيص النص الأصل .

(٤) هي التفلسف في النص الأصل .

(٥) أي على إكتساب فرعين من فروع العلم ما الأخلاق (العادل والحق المتع) والفلسفة الطبيعية (الطبيعية وسائر الموجودات المفهمة) .

(٦) أي المركب من البسيط .

معروفاً أكثر من الأدنى . والمعرفة تصرف (إلى الاهتمام) يما هو محدد ومنظم من الناحية المنطقية أكثر مما هي بضده كما تصرف إلى (العلل) والمكونات الأساسية أكثر مما يترتب على هذه (العلل أو المكونات) (١) والأشياء الطيبة تتفوق في تعددها وتنظيمها على الأشياء السيئة (٢) على نحو ما يتفوق الإنسان المترفع (٣) على الإنسان الوضيع . ومثل هذه الأصداد يتحتم أن يحمل نفس الصفات (٤) . فالأقوى يحمل طابع العلة أكثر من الثنائي ؟ فإذا انتهى ذلك فقد انتهى معه ماتلى عنه وجوده ؟ وهكذا تنتهي الخطوط عندما تنتهي الأعداد ، كما تنتهي السطوح بانتفاء الخطوط والأجسام بانتفاء السطوح .. وكذلك الأمر مع الكلمة عندما ينتهي المقطع ، ومع المقطع عندما ينتهي الحرف [ب ٣٤] وما كانت النفس أعلى قيمة من الجسد (لأنها بحسب طبيعتها هي المسيطرة) وكانت توجد فيها يتعلق بالجسد صنعة (بشرية) (٥) وعلم ، كالطب والرياضيات البدنية (الذين تصفهما بأنهما فرعان من فروع المعرفة ونؤكد أن هناك نفرا من الناس يتقنونهما) فمن الواضح أن الضرورة تقتضي وجود نوع من الرعاية ومن الصنعة التي تتعلق بالنفس وفضائلها ، كما تستلزم أن تكون قادرین على تحصيلهما ؛ إذ أنها تحمل القدرة على (اكتساب) معرفة بأمور يكون جهلنا بها أكبر كما تكون معرفتنا بها أشأ وأصعب . (ب ٣٥) ويصدق هذا على معرفة الطبيعة ؟ فالتبصر بالعوامل الأساسية (٦)

(١) إشارة من أرسسطو إلى نظرية المشهورة عن العلل (Aitaias-Aittaias)

(٢) أو أن المثيرات تفضل الشرور في مدى تعددها وتنظيمها .

(٣) أو الإنسان الفاضل الرفيع القدر .

(٤) يفرق أرسسطو كما هو معلوم بين الجنس والفصل ، والنوع والخاصة - وهي مقايم نسية دائمة .

(٥) قدرة بشرية على الصنعة ، أي تقنية أو مهارة فنية بتعبيرنا الحديث .

(٦) أو النظر المقل في العلل والمبادئ الأولى .

في الطبيعة وبأبسط عناصرها يكون منذ البداية أكثر ضرورة من التبصر بما قد نشأ عنها (بصورة ثانوية لاحقة) ، إذ أن هذا الأخير لا يتنى للأشياء الأولى من الناحية المبدئية (١) ، كما أن الأولى لا يستمد منه وجود ، بل إن من الواضح أن سائر الأشياء تنشأ عن ذلك الأولى وعن طريقه توجد . (ب ٣٦) ومهما تكن النار والهواء والعدد أو أي «طباشير» أخرى هي العوامل الأساسية (٢) ، ومهما تكن هي الأولية بالنسبة (لل موجودات) الأخرى ، فمن المستبعد في كل الأحوال أن نعرف أى شيء عن هذه مالم نعرف تلك . (٣) إذ كيف يتمنى لأحد أن يفهم الكلمات المنطقية إذا كان لا يعرف المقاطع ، أو كيف يمكنه أن يفهم المقاطع إذا كان لا يعرف شيئاً عن الحروف ؟ (ب ٣٧) لكن هذا هو وصفه (القول عن وجود علم بالحقيقة) (٤) وعلم بفضيلة النفس وعن قدرنا على تحصيلها . (ب ٣٨) أما أن هذا (التبصر بالبادي) هو أعظم الخيرات وأنه أنسف من كل ماعده ، فذلك ما يستصحب مما سقوله بعد : إننا جميعاً متفقون (في الرأي) على أن أرفع الرجال خلقاً وأشدهم بطبيعته قوة هو الذي ينفي أن يتولى الحكم (٥) ، كما إننا متفقون على أن القانون وحده هو الحكم والسيد ، ذلك القانون الذي يعبر منطقه عن

(١) أولاً يتمنى البادي الأولى - ويلاحظ أن أرسطو يستخدم نفس التعبير (الطلل أو البادي الأولى) (في موضع آخر من كتاباته الدالة على المفاهيم الأساسية والصورات المقلالية الأولى التي تستعين بها في تحليل بقية المفاهيم ومعرفتها (الميتافيزيقا ، مقالة الجاما ، ١ ، ٢٦١ ١٠٠٣) .

(٢) أو الطلل الأولى .

(٣) أى لا يمكن معرفة شيء من بقية الكائنات المترتبة على العوامل الأساسية والمتاثر الأولى طللاً كتنا يجاهلين بهذه العوامل والمتاثر .

(٤) أى علم ببادي الطبيعة (كما سبق في الفقرة ب ٤٢) . ويوضح أرسطو قوله هنا في كتاب الطبيعة حيث يتكلم عن حقيقة الموجودات وطبيعتها (١ ١٩١ ، ٨ ، ٤٨٨ ب وما بعدها ٢٥) .

(٥) راجع مناقشة هذه المسألة في عناورة «جورجياس» لأفلاطون ٤٨٨ ب وما بعدها وكلك الأخلاق النيتوماخية ، المقالة العاشرة ، ١١٨٠ - ٢١ .

حكمة بصيرة . [ب ٣٩] ومن ذا الذي يمكنه أن يمثل لنا المعيار الدقيق ويكون لنا بعثة الدليل (المادي) إلى التحير غير الإنسان الحكيم (١) (في خلقه و ملوكه) إن الأمر الذي يختاره ، حين يتم اختياره على أساس من الروية والعلم هو اختيار أما الصد (المخالف له) فهو الشر . [ب ٤٠] إن جميع الناس يميلون إلى اختيار ما يلائم طباعهم ، فالعادل يختار الحياة العادلة ، والشجاع حياة الشجاعة ، والبصیر العاقل حياة التبصر والعقل . ومن هذا يتضح كذلك أن الإنسان الذي وُهِب ملکة العقل (٢) ميختار الفلسفة ، لأن التفلسف هو مهمة هذه الملکة . ومن هذا الحكم الصادر بأقصى درجة من اليقين يتبيّن أن ملکة التعلق (٣) هي أسمى التغيرات جميماً . [ب ٤١] ويتصوّر صدق هذه القضية بما سيأتي قوله . إن التأمل والمرارة جديران بأن يسعى إلى إيجاد الإنسان ، إذ بغيرهما يستحيل على المرء أن يحيا الحياة التي تليق بإنسانيته . ولكنها كذلك نافعان للحياة العملية ، فما من شيء (يمكن أن) ييلو لنا خيراً إن لم تتحقق الغاية منه عن طريق التدبر والنشاط العاقل الحكيم (٤) وسواء أكانت الحياة المعيشة تكمن في البهجة والهناء أم في الفضيلة (والسمو الحالي) أم في التعلق (وممارسة العقل) فلابد للإنسان في كل هذه الأحوال من أن يتفلسف ، لأننا لا نتوصل إلى

(١) أو المتدبر العاقل البصیر *φρόνεμος* *φρόντισμος*

(٢) يستخدم أرسطو نفس الكلمة السابقة (في هاشم) التي يمكن التعبير عن فعلها ونشاطها في هذا السياق بكلمة التفلسف ، وكما يمكن الاستفاضة بالكلمة الأصلية نفسها لتعدد معانها التي يعزز أرسطو على أوتارها ، والمهم أنها تعني « التبصر » عن علم ونظر وتدبر ، كما تبني الاختيار الحر الذي يقرره الإنسان بما يلائم طبعه (انظر كذلك الأخلاق اليقورمانية ٦ - ٧ التي تعالج هذا الموضوع بتوسيع (واللاحظ أن الكلمة لا ترد عند أفلامون ، وإن كان يشير إلى الموضوع الذي تدل عليه (الدفاع ٣٨))

(٣) أو ملکة التفلسف والنظر العقل الحكيم قياساً على التصرف في الكلمة السابقة ومشتقاتها

φρόνησις (٤)

(٤) أي أن الأمر يعتمد على وجود موقف أخلاقي يتلزم من الإنسان أن يختار ويتخذ قراراً ، وبغير ذلك لن يمكننا أن نعمّل شيئاً بأنه خير ، لأن الخير يمكن في الفعل الصادر عن تأمل وتدبر يصلان بالشيء إلى غايته ويعقّل المدفوع (لاحظ التفكير الفائق هنا أيضاً)

الرأي الواضح في كل هذه الأمور الاعن طريق التضليل^(١) [ب ٤٢] ان من يبحث في كل علم عن نتيجة مختلفة عنه ويطلب من كل معرفة أن تكون نافعة^(٢) إنما يجهل تمام الجهل مدى الفارق الأسمى بين ما هو خير وما هو ضروري وانه في الواقع لفارق عظيم . ذلك أن تلك الأشياء التي نحبها من أجل شيء آخر ولا نستطيع أن نعيش بغيرها ، هي الأشياء التي نصفها بأنها ضرورية وعلل مصاحبة ، أما (الأشياء) التي نحبها لذاتها ، حتى ولو لم يتبع عنها شيء آخر ، فهي التي نصفها بأنها خيرات بالمعنى الصحيح لأن الواحد (منها) ليس جديرا بالاختيار من أجل شيء آخر وعلم جرا إلى ما لا نهاية ، اذ لا بد من التوقف في موضع ما . والحق أنه لم ين السخرية في أن نبحث كل شيء عن متفعة مختلفة عن الموضوع نفسه ، ومن المضحك أن نسأل «فيم ينتفعنا هذا؟» «ولأى غرض يمكن أن نستخدم هذا؟» فالذى يتكلم على هذا النحو لا يمكن بأى حال من الأحوال - كما هي عادت في القول^(٣) أن يُشَبَّهَ بذلك الذى يعرف النبل والثغر ويستطيع التفرقة بين العلة والمصاحبة . [ب ٤٣] وربما كانت (أفضل وسيلة) لمعرفة حقيقة قولى أن ينقلنا أحد عن طريق الفكر^(٤) إلى جزر السعادة . هنالك لن نشعر بأننا في حاجة إلى شيء^(٥) ، ولن يتبع لنا أى شيء من الأشياء الأخرى أية متفعة ،

(١) يرجح الأستاذ «در نج» أن تكون العبارة الأخيرة من صياغة يامل بليخوس .

(٢) تنصب حجاج أرسطوفن هذه الفقرة كلهابل مهاجمة خصمه ، وخصوصاً يزور قراطيس وأتباعه (راجع أنتيلوزيس ٢٦٩ - ٢٦٢) ولهذا يرجع إلى الفقرة الأساسية بين الجليل *Kala*-Agatha - آغايثا - *Anemiklaia* - آنميكلايا وهي التي أكد عليها أفلاطون ، وتلتها أرسطوفن أثناء فترة الطلب الطويلة التي قضى بها في الأكاديمية وأوشكت على المشررين عاماً ، ولهذا تتجه يشير في الفقرة التالية إلى الحياة التي نصفها عنـ - الآن - بالحياة الحرة ، أي عنـ أعضاء الأكاديمية

(٢) أو كما تعودت أن أقول ، وهي عبارة من «لوازمه» أسلوب أرسطو ، وتدل على
أهمية النص و عدم المسار به إلا في الموضع القليل المشار إليها

((٤)) أى بالذيل والتصور أو يقلنا نقله روحية إلى جزر المالديف المبار كينا...

(٤) أى لن تشعر بالحابلات والضرورات .

ولن يتبع (لنا) الاشيء واحد هو التفكير والفلسفه^(١) ، أى هذا الذى نصفه الآن بالحياة الحرة . وإذا صع هذا^(٢) ، فكم يحق للواحد منا أن ينجل من نفسه اذا ما أتيحت له فرصة^(٣) الإقامة في جزر السعادة (فأقعده) العجز والتقصير عن اغتنامها . ولهذا فإن البزاء^(٤) الذى تمنحه المعرفة للإنسان لا يدعو أبداً للإحتقار ، كما أن الخير الذى يتمتع به غير قليل . وكما أنها نعمت ثمار العدالة في «هاديس»^(٥) . على نحو ما يقول الحكماء من الشعراء — كمثلك يجوز لنا أن نتأمل في (حصد) ثمرات الفلسفة من جزر السعادة^(٦) . [ب٤٤] وهذا لا يصبح أن نبتئس إذا بدا لنا أن الفلسفه غير نافع أو مفيد^(٧) ، لأننا لأنو كد أنه مفيد وإنما (نؤكده) أنه خير ، وأن ليس على الإنسان أن يختاره من أجل شيء آخر ، بل عليه أن يختاره للذاته . وكما أنها نسافر إلى «أوليبيا» (المشاهدة) التمثيل نفسه ، حتى ولو لم تحصل منه على مكسب آخر (إذ أن المشاهدة في ذاتها أكبر قيمة من المال الكبير) ، وكما أنها لانتفرج على الإحتفالات المسرحية في الأعياد الديونيزية^(٨) لكن تأخذ شيئاً من الممثلين — فتحن في الواقع تتفق عليها من مالنا — ، وكما أنها تقدر الكبير من المشاهد التمثيلية الأخرى تقديرآ يفوق ثروة وفيرة من المال ، فسوف يقدر المرء تأمل الكون تقديرآ يفوق (في قيمته) كل تلك الأشياء التي تعد في نظر الرأي العام

(١) حرنيا : التأمل أو النظر العقل المخلص : *Theorem* - *θεωρεῖν*

(٢) أو إذا كان ماؤقوله هو الحق ..

(٣) أو إمكانية ..

(٤) أو الأجر ..

(٥) وهو العالم السفل المظلم ، عالم الأشباح والأرواح في تصوّر الإغريق وأساطيرهم .

(٦) أى يصح لنا أن نتوقع حصد ثمار الفلسفه من جزر السعادة التي ستقدم علينا بمعونة النظر والفلسفه .

(٧) يتردد هذا التعبير المزدوج من النافع والمفيد في الأخلاق النيقومورية — انظر ترجمة ديرلماير طا وشروحه عليها — دار مشتات ، ص ٣٨١ .

(٨) في الأصل : لاترى «الديونيزيات» والمقصود هو المهرجانات المسرحية التي تقام في الاحضان بعيد ديونيزيوس .

(أشياء) نافعة (١) وليس يصح بغير ذلك أن يبتل الإنسان الكثير من الجهد في السفر إلى أناس يظهرون (على المسرح) في صورة نساعو عبيد أو يتنافسون (في الألعاب الأوليمبية) على المبارزة والسباق (في العلو) ثم يذهب من ناحية أخرى إلى أن الإنسان لا ينبع عليه أن يتمثل طبيعة الأشياء (أو يتمثل) الحقيقة بغير مقابل (مادي). [ب٤٥] وهكذا تكون الآن قد تقدمنا (على طريق بحثنا) من غائية الطبيعة بوصفها المطلقة (التي نبدأ منها) للتبني إلى (ضرورة) الفلسف ، مقتنيين بأن الفلسف خير وأنه إذا أخذ في ذاته جدير بالشرف والتكرير ، حتى ولو لم يترتب عليه شيء نافع في الحياة العملية (٢) [ب٤٦] أما أن نشاط الفكر يتبع في الواقع للحياة اليومية (للبشر) أعظم الفائدة ، فذلك ما سوف نتبينه بسهولة (من النظر) في المهن والصناعات : إن جميع الأطباء الحاذقين ومعظم معلمي الألعاب الرياضية مجمعون على أن الذي يريد أن يكون طيبا حاذقا أو ملما بارعا (للألعاب الرياضية) يتوجب عليه أن يعرف الطبيعة معرفة وثيقة . (٣) والأمر كذلك مع المشرعين المبرزين (٤)

(١) يؤكد إيزوقرط (أنتيد زيس ٢٦١ - ٢٦٣) أن درامة الفلك والمتasse وسائر العلوم الأخرى ذات نفع ضئيل ، كما يسي "الفنان بالعلوم التأملية - وخصوصا الفلسفة - ، فالمرارة العلمية (الابيستيمé Episteme) في رأيه تعنى طاقة البشر ، وأقصى ما يتعلمه الإنسان هو التعلم من الخبرة العملية والاستفادة في سلوكه من الآلة والناس ، وفي حياة الخاصة وال العامة .
 (٢) يدو من الفقرة السابقة تلخيص من يambilخوس ، وإن كان هذا لا يمنع من القول بأن أمثال هذا الطيف من أمر مألوف في كتابات عند أسطرو الانتقال من فكرة إلى فكرة أخرى جديدة وعلى كل حال فإن الجزء الثاني من (ب٤٦ - ٤١) مختلف عن نسبته الكتاب اختلافا كبيرا (انظر التعليقات) .

(٣) أي أن يكون خيراً بها خبرة دقيقة ويعرفها معرفة مؤكدة . قارن هذه الفكرة نفسها في محاورت فايدروس (٢٧٠) وخاريديس (١٥٦ ب - ه) وهي تشهد على ما قلناه في المقدمة من أن أسطرو يستلزم معظم أفكاره الأساسية من أفلاطون ، لكن يطرّها بعد ذلك تطورا خططاً ويوجهها لغايات مختلفة . فهو يؤكد هنا مثلاً أن الطبيعة نفسها هي التي تهدى الإنسان وتوجهه في فعله ، أما أفلاطون فيقول في الموضع السابق إن من واجب الطبيب أن يتمثل الإنسان وطبيته ككل لا أن يشق هذا الجزع أو ذلك من بدنه . وبذلك يختلف مفهوم الفيلسوفين عن الطبيعة .
 (٤) حرفاً : المشرعين الجيليين .

الذين يجب عليهم أن يعرفوا الطبيعة معرفة دقيقة ، بل أن تفرق خبرتهم بها خبرة أولئك لأن أولئك يظهرون حذقهم في المهنة بتنمية كفاءة (١) الجسد أما هؤلاء فينصرفون إلى فصيلة النفس ويسعون لتوجيه الناس (٢) إلى السبل المؤدية لمساعدة المجتمع أو شفائه ، وهذا تزيد حاجتهم إلى الفلسفة : [ب ٤٧] وفي المهن اليدوية الأخرى تكتشف أفضل الأدوات عن طريق ملاحظة الطبيعة؛ في التجارة مثلاً (يكتشف) الفادن (٣) والمسطار والأداة التي ترسم بها الدائرة ؛ (٤) وفي بعض الأدوات تكون ملاحظة الماء هي التموج (النى نحاكيه) ، وفي بعضها الآخر (نختلى) بأشعة الشمس التي تلتقطها . وبمساعدة هذه الأدوات تثبت ما هو مستقيم ومستوى بحيث يلام الإدراك الحسى بدرجة كافية . وبهذه الطريقة نفسها يتحقق على رجل الدولة (٥) أن تكون لديه معايير معينة يستمدّها من الطبيعة نفسها ومن الحقيقة ويستعين بها في الحكم على ما هو عادل وجميل ونافع . فكما يمتاز النوع المذكور من الأدوات في الأعمال اليدوية عن كل ماعده ، كذلك يكون هذا المعيار هو أفضل المعايير إذا توفر له أكبر قدر ممكن من التوافق مع الطبيعة : [ب ٤٨] ولا سبيل لإنسان لم يهب حياته للفلسفة ولم يعرف الحقيقة أن يتوصل إلى هنا (المعيار) (٦) . الواقع أن الناس لا يتوصّلون في الصنائع

(١) هي في الأصل فصيلة *Areté* - أرتي وهي يصعب إيجاد مرادف عربي واحد لها ، إذ تختلف بحسب السياق فتكون فصيلة أو كفاءة أو صلاحية .

(٢) أو تعلّمهم ..

(٣) أداة مؤلفة في طرفة قطمة من الرصاص تُعنّى به استقامة البندار .

(٤) وهي مبارزة عن قلم من الرصاص ثبت في خيط .

(٥) أو يجب على السياسي ..

(٦) أي أن السياسي الذي لم يهب حياته للفلسفة ومعرفة الحقيقة سيكون عاجزاً عن التوصل إلى هذا المعيار الملازم لطبيعة الأشياء ، وسيتحيل عليه أن يعرف ما ينفع الناس ويهديهم إلى العدل والحسان .

(والمهن) الأخرى إلى الأدوات وأدق الحسابات عن طريق المبادئ الأولى بل يستعملون (معرفتهم بها) من مبادئ من الدرجة الثانية والثالثة والرابعة مشتقة عنها (١) ، وهذا يكون علمهم تقريرياً كما يقيّمون أحکامهم على الخبرة ، إن الفيلسوف وحده هو الذي يحاكي الأشياء الدقيقة نفسها لأنّه هو الذي يتأنّل الأشياء ذاتها لا الصورة المقلدة لها (٢) . [ب ٤٩] وكما يمتنع على المهندس الذي لا يستخدم المسطار وما شابهه من الأدوات بل يعمد ببساطة إلى حاكمة البيوت الأخرى – أن يصبح مهندساً جيداً كذلك يصعب على من يشرع القوانين للمجتمع أو يباشر العمل السياسي (في الدولة) بمجرد النظر إلى الأفعال الأخرى أو المجتمعات الأخرى ومحاكاتها ... كمجتمعات الأسرطين والكريتيين – (يصعب عليه) أن يصبح مشرعاً جيداً أو رجلاً ممتازاً (٣) – ذلك لأنّ حاكمة شيء غير جميل لا يمكن أن تكون جميلة ، ولا يمكن أن تصبح حاكمة شيء هو بطبيعته غير إلهي ولا دائم خالدة أو دائمة . إن الفيلسوف وحده من بين العاملين جميعاً هو الذي يتصنّف بثبات قوانينه وبنبلها . [ب ٥٠] ذلك لأنّه هو الوحيدة الذي يحيى وبصره ثبت على الطبيعة وعلى (كل ماهو) إلهي . انه يشبه الملاح الجيد الذي يرمي (سقينة) حياته عندما هو أبيدي و دائم ، وهناك يلقى مرسانه ويحيا سيد نفسه . [ب ٥١] إن هذه

(١) أي مشتقة عن تلك المبادئ الأولى .

(٢) أي أنه يتأنّل الموجودات ذاتها ولا ينظر فيها يحاكيها من موجودات . ويلاحظ أنّ آن أرسطو يعتقد في كلامه من المهن والمستائع على الحجة التي ذكرها أناطليون في المشهرية (٤٣) بـ (٢) لكنّه يسهل عليه الوصول إلى هذه من تفضيل المكبه الخامسة أو النظر العقل على سائر أنواع النشاط العمل ، كما يلاحظ القاريء أيضاً أنه يلجأ هنا إلى الأسلوب الخطابي ويبالغ فيه في الفقرات التالية

(٣) يعلّم هذا القول شيئاً على إداته النظم السياسية الكريتين والأسرطين ووصفها بأنّها « غير جميلة » ومع ذلك فينبغي المطرد من إستخلاص نتائج موضوعية من هذا السياق الخطابي البعيد عن التحليل النقيض ..

المعرفة في ذاتها معرفة نظرية ، ولكنها تسمح لنا بتصریف جميع أعمالنا وفقاً لها . وكما أن (قوة) الإبصار لاتخلق شيئاً أو توجد شيئاً ، لأن مهمتها الوحيدة هي تمييز كل شيء من الأشياء المرئية على حدة وتوضیحه وإن كانت تمکتنا من عمل شيء وتساعدننا عند العمل أكبر مساعدة (إذ لو لاها لأصبحنا عاجزين كل العجز عن الحركة) ، فان من الواضح أيضاً أننا نستطيع عن طريق هذه المعرفة ، على الرغم من أنها نظرية ، تحقيق حد لا يمحض من الأعمال ، كما نستعين بها في تقرير الأخذ بشيء أو تجنب شيء آخر ؛ وعلى البخلة فنحن نكتسب عن طريق هذه المعرفة كل ما هو خير . [ب ٥٢] من شاء أن يضطلع بهمة فحص ماقلناه فيجب عليه أن يتبيّن بوضوح أن كل ما هو خير للإنسان ونافع للحياة يمكن في الفعل والممارسة لافي مجرد المعرفة بالخير . فنحن لأنبغي أصحاب عن طريق معرفتنا بالأشياء التي تفيد صحتنا ، بل عن طريق تزويد الجسم بها ؛ ولأنكون أثرياء عن طريق المعرفة (عاهية) الثروة بل عن طريق اكتساب ثروة كبيرة ، والأهم من هذا كله أننا لأنجينا حياة جميلة ونبلة من خلال معرفتنا بعض (الحقائق) عن الموجود ، بل من خلال عملنا الخير^(١) ، لأن هذه هي الحياة السعيدة بحق : يلزم عن هذا أن الفلسفة بدورها – اذا صبح ما نقوله من أنها نافعة – إما أن تكون ممارسة للأفعال الطيبة ، أو أن تكون مفيدة^(٢) في القيام بمثل هذه الأفعال [ب ٥٣] وهكذا ينبغي على الإنسان أن لا يهرب من الفلسفة ، إن كانت^(٣) – كما أعتقد – هي اكتساب الحكمة وتطبيقاتها وكانت الحكمة نفسها من أعظم الخيرات . وإذا كان الإنسان يعيش نفسه عناء

(١) « تذكرنا هذه العبارة بعبارة أخرى مشهورة ذكرها أسطو الأخلاق النيقمانية »
 (٢) « إن السعادة تكمن في الحياة الخيرة والعمل الطيب »

(٣) أو مشجعة عمل القيام بها .

(٤) أي الفلسفة .

السفر إلى أعمدة هرقل ويعرضها للأخطار الكثيرة في سبيل المال ، فلماذا لا يشق على نفسه و يتكلف الجهد في سبيل الفلسفة (١) ؟ الواقع أن من طبع الرجل العادى أن يسعى إلى الحياة لا إلى الحياة الخيرية ، وأن يتبع آراء الجمهور بدلاً من أن يتضرر منهم الاستجابة لرأيه ، وأن يبحث عن المال ولا يكتفى بالإطلاق بما هو نبيل . [ب ٥٤] يبلو لي الآن أنه قد تمت البرهنة على فائدة الموضوع وأهميته برهنة كافية . أما أن (تحصيل المعرفة الفلسفية) أسهل بكثير من تحصيل أي خير آخر ، فذلك أمر يمكن الاقتناع (بصحته) مما يأتي [ب ٥٥] إن أولئك الذين يهبون حياتهم للفلسفة لا يتلقون من الناس أجرأ يمكن أن يحفزهم على مثل هذا الجهد . ومهما يبلغ الجهد الذي يبذله في (تحصيل) مهارات أخرى (٢) فإنهم يتمكرون في وقت قصير من إحراز تقدم سريع نحو المعرفة الدقيقة ، وهذا في رأي دليل على مهولة تحصيل المعرفة الفلسفية . [ب ٥٦] وعند حججة أخرى (تقول) إن جميع الناس يأنسون بالفلسفة ويريدون عن طيب خاطر أن يتفرغوا لها ويترکوا كل مaudاتها وهذا أيضاً دليل لا يُستمان به على أن الاشتغال بها متعة ، ولو كانت مجرد جهد وعناء لما فكر أحد في أن يشق نفسه بها وقتاً طويلاً (٣) أضف إلى هذا أن النشاط الفلسفي ميزة كبيرة عن كل مaudاته من ألوان النشاط فلا يحتاج المرء في ممارسته إلى أي أدوات أو أمكنته خاصة ، بل حيماً وجد على الأرض إنسان يهم (بأن ينصرف) إلى التفكير ، فقد وجدت

(١) قارن الجمهورية ٥٠٤ د د .

(٢) لم أرسطو قد كتب هذه العبارة وهو يستحضر في ذهنها الدراسة في الأكاديمية كما شرحه أفلاطون في الجمهورية (٥٢١ - ٥٤٢) فقد كان الطلاب يبدأون بردمة المتنمية ويتدربون عبر المهارات Technical - Technical الأربع إلى أن يبلغوا قمة ابخل حيث يعيشون بين المعقولات الخامسة ويتأملون المثل ذاتها .

(٣) لابد أن تكون هذه العبارة قد خرجت من قلب المعلم الأول الذي وجد المتعة في الاشتغال بالفلسفة !

لديه كذلك القدرة على الامساك (١) بالحقيقة كأنها حاضرة (بين يديه) . [ب ٥٧] هكذا تكون قد أثبتنا أن في الإمكان أن يهب الإنسان حياته للفلسفة ، وأنها أعظم الخيرات جمعياً ، وإن من السهل تحصيلها واكتسابها وهذه الأسباب تستحق الإقبال عليها بهمة وحماس [ب ٥٨] تأقى الآن إلى السؤال عن المهمة الحقيقة للمعرفة الفلسفية وعن السبب الذي يجعلنا جميعاً نسعى إليها . وهذا ما أريد الآن أن أشرحه من وجهة نظر جديدة . [ب ٥٩] نحن البشر نتألف من نفس وجسم ؛ جزء منهما يسيطر والجزء الآخر يسيطر عليه (٢) ، أحدهما يستخدم والآخر يوجد وجود الأداة وتطبيق الجزء الذي تم السيطرة عليه ، أي الأداة ، يكون دائماً على علاقة محددة بالجزء الذي يقوم بالسيطرة والاستخدام . [ب ٦٠] في النفس يوجد العقل من ناحية ، وهو الذي يسيطر ويسود بحكم طبيعته ويقرر شؤوننا (٣) كما يوجد من ناحية أخرى ذلك الذي يخضع (ويطيع) ويقبل السيطرة عليه ، ويكون كل شيء في حالة طيبة عندما يتحقق كل جزء من أجزاء النفس الفضيلة (٤) التي يختص بها بطبيعة ؛ وبلوغ هذه الغاية هو الخير . [ب ٦١] ويسود النظام الكامل قبل كل شيء عندما (يتتمكن) أفضل جزئي النفس وأكثرها وأجلدتها بالشرف (٥)

(١) أو إدراكتها .

(٢) أي يحكم أو يسود والآخر يخضع للحكم . ويلاحظ ورود هذه الفكرة أيضاً لدى لازواتريطي (أنتيلوزيس ١٨٠) .

(٣) أو يتول زمامنا ويقضى في شؤوننا وأعمالنا . وللالاحظ أن الفقرة (٦٨) أضافة من ناشر النص الأصل استخلصها من السياق العام ولم تدل في الشتارات المأثورة عن ياميليخرس أو غيره -

(٤) من الصعب - كما اشرت في هاشم سابق - التعبير بكلمة واحدة عن هذا المصطلح Areté ἀρετή (أريته) الذي عن يعنى الفضيلة بمعناها الأخلاقى كما يعني الصلاحيـة والكمـة ، عندما نكون مثلاً بقصد الكلام عن عضو من أعضاء الحـن يـؤدى وظـيفة خـير أداة . بهذا المعنى الأخير تتردد الكلمة في حوار سocrates عند افلاطون ، كما تتردد عند أرسطـو في كلامـه عن الدينـيـة أو الحـسانـيـة حيث تكون فضـيلـتها هي قـوةـ الإـيمـانـ والـصـمـودـ فيـ مـعـارـكـ الشـتـالـ

(٥) المقصود بهذا الجزء هو المقل « نوس » nous -

ـ من تحقيق فضيلته . وكلما كان الشيء بحكم طبيعته أكثر امتيازاً وتفوقاً تميزت فضيلته الملائمة لطبيعته وازداد تفوقها . وتزداد قيمة الشيء عندما يكون بحسب طبيعته متوفقاً في سيادته وقيادته ، كما هي حال الإنسان مثلاً بالقياس إلى الحيوانات . كذلك تزيد النفس في قيمتها على الجسد (لأنها أعلى منه درجة في السيادة والسيطرة) ، وفي داخل النفس يكون الأعلى هو الذي يملك الفعل وملكة التفكير . (١) ومن هذا النوع ذلك الذي يأمر وينهى ويخبر بما ينبغي عمله أو تجنبه :

[ب ٦٢] وأيا ما كانت فضيلة هذه الجزء من أجزاء النفس ، فلا بد أن يكون الأجر بالاختبار بالنسبة للجميع على وجه الإجمال وبالنسبة لنا . أذ يصح ، فيما أرى ، أن نقول إن هذا الجزء ، سواء وحده أو بالدرجة الأولى ، هو ذاتنا الحقيقة . [ب ٦٣] وفضلاً عن هذا لا يصح أن نصف عملاً بأنه خير (٢) إذا حقق شيء (من الأشياء) مهمته (٣) الملائمة لطبيعته على أحسن صورة ممكنة (بحيث لا يتم ذلك بطريقة عرضية) ، بل من حيث هو في ذاته (٤) والفضيلة التي تتحقق الشيء من إنجاز هذا هي التي نصفها بأنها أسمى فضائله (كما نعتبرها) فضيلته الحقة .

[ب ٦٤] إن الشيء المركب (من أجزاء) والقابل للتجزئة له أنواع من الفاعلية متعددة و مختلفة ؛ أما ما يكون بسيطاً بحكم طبيعته ولا يمكن وجوده في مجرد علاقته بشيء آخر فيلزم بالضرورة أن تكون له فضيلة واحدة تميز ماهيته . [ب ٦٥] ولما كان الإنسان (٥) كائناً حياً بسيطاً وكانت تحدد طبيعته (٦) بالتفكير والعقل (٧) فليثبت له موى مهمة واحدة

(١) أو القدرة على الفهم .

(٢) أو بأنه جيد .

(٣) حرفاً : فعله أو عمله .

(٤) أي بطريقة تعبّر عن ذاته وتصرّع عنها Kesch'auto Kraß' aß'ōd

(٥) ولما كان الإنسان "بصيغة كل واحداً (اصناف من درجات)"

(٦) أو ماهيته وخاصيته He ousia ḥ̄ oύσια

(٧) أي بملكة التفكير والعلم وبالمقال .

هي بلوغ الحقيقة المتناهية في الدقة ، أى المعرفة الحقة بال موجودات .
 أما إذا كانت له قدرات عديدة تميزه ، فإن أقيم فعل (تحققه) هذه
 القدرات هو الذي يساعدك على تحقيق أعظم فعل ممكن ؛ فالصحة مثلاً
 هي فعل الطيب ، والسفر المأمون هو فعل ربّان المسفينة ، ولا يُعني
 أن أصنف أقيم أفعال الفكر أو الجزء المفكّر من النفس إلا أن البحث
 عن الحقيقة ، والحقيقة هي أسمى فعل يقوم به هذا الجزء من النفس [ب
 ٦٦] هذا الفعل يتحقق الجزء المفكّر عن طريق تحصيل العلم ، بحيث يكون
 تتحققه على أفضل وجه كلما ازدادت قيمة العلم ؛ وإن أسمى غاية للعلم
 هي المعرفة الفلسفية ^(١) . لأنّه إذا وجد شيطان وكان أحدهما جديراً
 بالاختيار بسبب الآخر ، فإن الأقيم والأجلد بالاختيار هو الذي يسيء
 وقع الاختيار على الآخر ، على نحو ما يكون الأمر مع اللذة بالنسبة لما
 ينبع اللذة مع الصحة بالقياس إلى ما يسبب الصحة ، إذ إننا نقول إن ذلك
 قد نتّج عن هذا . [ب ٦٧] وليس ثمة شيء أجلد بالاختيار من البصيرة
 الفلسفية ^(٢) التي نصفها بأنّها هي قدرة أسمى وظائفنا النفسية ^(٣) ،
 وذلك إذا قارنا بين وظائف النفس المختلفة ، لأنّ الجزء العارف
 من النفس هو بذاته وحده أو بالاتحاد مع الأجزاء الأخرى أكثر
 قيمة من بقية النفس مجتمعة ، وفضيلته هي العلم ^(٤) وهذا لم تكن أية
 فضيلة من الفضائل التي يتكلّم عنها الناس بوجه عام ^(٥) من فعل البصيرة

(١) أى المعرفة النظرية المعاصرة هي أسمى غاية . وأرسطيوؤكد هذا في الكتاب الذي
 بين أيدينا كما يلح عليه في سائر كتاباته ، وبخاصة الميتافيزيقا والأخلاق النيقوماخية
 والنفس .. الخ أمّا أفلاطون فيرى أنّ الجدل (الدياليكتيك) هو قمة المعلوم والمعرفة جميعاً
 (المهرية ٣٥٤) .

(٢) أو الحكمة والنظر والتدار وتأمل الفلسق المعاصر .

(٣) أو بأنّها هي أسمى قدراتنا النفسية وأعلاها مرتبة .

(٤) ويقصد بها هذه الفضائل الأربع : الشجاعة والتدار (أو الاعتدال) ، والعدلة والحكمة
 وبهذا المعنى أيضاً يتحدث أفلاطون في المهرية (٤٩١ ج) عن الميرات أو الفضائل التي ي Fletcher
 عليها الناس عادة .

الفلسفية ، لأنها أسمى منها جمِيعاً^(١) . فالغاية التي يتم بلوغها تكون دائماً أعلى شأننا من العلم الذي نبلغها عن طريقه . ومع ذلك فليست كل فضيلة (من فضائل) النفس نتيجة مرتبة على البصيرة الفلسفية ، ولا كذلك الحياة السعيدة . اذ لو كانت البصيرة الفلسفية^(٢) فاعلة لأنتجت شيئاً آخر مختلفاً عنها هي نفسها ، على نحو ما ينبع في البناء بينما دون أن يكون هو نفسه جزءاً من الـ^(٣) ; أما البصيرة الفلسفية فهي على العكس من ذلك جزء من فضيلة (النفس) ومن الحياة السعيدة ، لأنّي أزعم أنّ الحياة السعيدة [ما أن تنشأ عنها أو أنها (أى البصيرة الفلسفية) هي نفسها الحياة السعيدة]^(٤) . [ب ٦٩] على أساس هذه الحجة^(٥) يستحيل على البصيرة الفلسفية أن تكون علماً متوجهاً إذ يتضمّن أن تسمى الغاية على الطريق المؤدي إليها ؛ ولكن ليس هناك ما هو أسمى من الحياة الفلسفية ، إلا أن يكون أحد الأشياء التي ذكرناها قبل قليل (أى فضيلة النفس والحياة السعيدة) ؛ وليس فعلهما شيئاً آخر غير أنّ الحياة الفلسفية^(٦) وإذا فلابد من التمسّك بأنّ العلم الذي نتكلّم عنه علم نظري ، لأنّ من المستحيل أن تكون الغاية منه انتاجاً (أو

(١) لأن التعبير هو القوة السائدة في المجال المقل و الإلحاد على السواء .

(٢) أى أنّ البصيرة الفلسفية وحدّها لاتستطيع أن تحمل الإنسان سعيداً . وأرسطو يحوارون هنا أنّ يؤكّد أنّ هذه البصيرة لاتتيج شيئاً لأنّها هي نفسها في ذاتها .

(٣) كل حركة أو تغير يفترض عند أرسطو وجود محرك ومحرك ، وبهذا يكون في البناء هو المحرك بالنسبة إلى المدف أو النهاية منه . وهو الـ^{نفس} . وقارن الميتافيزيقاً ؛ مقالة اللام - ٤ - ١٠٧٠ ب - ٣٥ - ٣٥ ووغيرها من الموسوع .

(٤) يلاحظ القارئ من جديد أنّ أسلوب أرسطو في تقديم الحجة أسلوب بلاهي وخطابي ، وهو يبالغ فيه إلى الحد الذي يرشّك منه أن يكون محاولة لتفطيل ضعفها المتعلق ..

(٥) أو هذا المجاج والتليل .

(٦) ربما كان المعنى هو أنّ الفضيلة والحياة السعيدة يؤديان إلى الحياة الفلسفية مثل العكس تماماً .

(إنجازا عمليا) . [ب ٧٠] هكذا تكون المعرفة والنظر الفلسفي (١) هما المهمتان الحقيقيتان للنفس . إنهما لأجل الأشياء جمعياً باختيارنا نحن البشر ، حتى يمكن – في رأيي – أن نقارنهما بقدرة الإبصار التي تظل خلية بالتقدير ولو لم يتبع عنها إلا الأ بصار نفسه . [ب ٧١] (يمكننا أن ثبت هذا على النحو التالي (٢)) إذا اتفق لأحد أن يحب شيئاً بسبب شيء آخر يكون بمنابه صفة مضاقة إليه ، فمن الواضح أنه سيزداد حباً لذلك الشيء الذي تتوافر فيه هذه الصفة بدرجة أعلى . فلو أحب إنسان التتره (٣) – على سبيل المثال – لأنـه صحي ، فسوف يؤثر العلو عليه إذا تبين له أنه أصبح منه (٤) وكان هو نفسه قادراً عليه ، بل لقد كان من المحتمل أن يؤثره لو عرف ذلك من قبل . (وـثمة حجة أخرى) فعندما يكون الرأي الصادق (٥) شيئاً بالمعرفة العلمية (إذ أنها نقر بقيمة الرأي الصادق بقدر ما يكون مضمونـ الحقـيقـةـ الـذـىـ يـنـطـوـىـ عـلـيـهـ شـبـيهـاـ بـالـمـعـرـفـةـ الـعـلـمـيـةـ) ، وعندما يتعلق مضمونـ الحقـيقـةـ هـذـاـ بـوـجـهـ خـاصـ بـالـمـعـرـفـةـ الـعـلـمـيـةـ (٦) ، عندئذ تصـبـحـ المـعـرـفـةـ أـجـلـىـ بـالـاخـتـيـارـ مـنـ الرـأـيـ الصـادـقـ . [ب ٧٢] وإذا كـنـاـ نـحـنـ الإـبـصـارـ لـنـاهـيـاـ ، فـإـنـ هـذـاـ دـلـيـلـ كـافـ عـلـىـ أـنـ النـاسـ جـمـيعـاـ يـحـبـونـ الفـكـيرـ وـالـمـعـرـفـةـ لـلـىـ أـقـصـىـ حدـ مـمـكـنـ . (٧) [ب ٧٣] ذلك لأنـهـمـ يـحـبـونـ

(١) أو التفكير والتأمل الفلسفي وقد فصلـتـ النظرـ استـنـادـاـ لـتـعـلـمـ الأـسـلـيـ theoriein- Geowerthein-

(٢) إضافة من "ديرنج" للتوضيح ووصلـ المـبارـاتـ .

(٣) أو التريـسـ سـيرـاـ عـلـىـ الـأـقـدـامـ .

(٤) أيـ صـحـ منـ التـترـهـ .

(٥) الرأـيـ الصـادـقـ أوـ الدـوـكـساـ ٨٦٥ـa - Doxa درجةـ منـ المـعـرـفـةـ أـدـفـ منـ الـلـمـ الـيـقـيـ . وأـقـرـبـ إـلـىـ الـظـنـ وـالـتـخـيـلـ .

(٦) أيـ عـنـدـماـ نـجـدـ أـنـ مـضـمـونـ الـحـقـيقـةـ الـذـىـ يـنـطـوـىـ عـلـيـهـ الرـأـيـ الصـادـقـ هوـ الـسـمـةـ الـتـيـ تـسـيـزـ بـهاـ الـمـعـرـفـةـ الـعـلـمـيـةـ وـتـحـتـويـ عـلـيـهاـ بـدـرـجـةـ أـكـبـرـ . عـنـدـئـلـةـ لاـيـكـونـ أـمـاـنـاـ عـيـارـ بـيـنـهـاـ ،ـ فـالـأـولـىـ فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ أـنـ تـفـضـلـ الـمـرـفـةـ .

(٧) تـذـكـرـنـاـ هـذـهـ الـعـبـارـةـ بـالـبـارـةـ الـأـخـرىـ الـمـشـهـورـةـ الـتـيـ وـرـدـتـ فـيـ مـقـالـةـ "ـالـأـلـفـاـ"ـ مـنـ كـتـابـ الـيـاقـيـزـيـقاـ (١، ٢١ـ ١٩٨٠ـ)ـ :ـ إـنـ الـبـشـرـ جـمـيعـاـ يـسـعـونـ بـطـبـعـهـمـ إـلـىـ الـمـرـفـةـ .

الحياة كما يحبون معها التفكير والمعرفة : وليست الحياة (في نظرهم) جديرة بالتقدير إلا بسبب الإدراك الحسي وبالاتّصال (بسبب) الابصار . والظاهر أنهم يقدرون هذه الملكة فوق كل حد لأنها في علاقتها بسائر الادراكات الحسية تكاد أن تكون نوعاً من المعرفة (١) . [ب ٧٤] بيد أن الحياة تفترق عن عدم الحياة عن طريق الادراك (٢) : ونحن نحدد الحياة (بوجود) الادراك والقدرة . فإذا انتزعت هذه القدرة لم تعد الحياة تستحق العيش ؛ ويبدو الأمر في هذه الحالة وكأن الحياة ← ومعها الادراك ← قد قضى عليها . [ب ٧٥] وتتميز قوة (٣) الابصار عن سائر أعضاء الحس ، لأنها أشدّها حدة ، ولهذا أيضاً تقدّرها تقديرأً يفوق (كل ماعداها) . إن كل إدراك هو القدرة على معرفة شيء عن طريق الجسم ، كما يدرك السمع الانغام عن طريق الأذنين . [ب ٧٦] فإذا كانت الحياة جديرة بالاختيار بسبب الادراك ، وكان الادراك نوعاً من المعرفة ، وإذا كانا يفضل الحياة لأن النفس تستطيع أن تتوصل إلى المعرفة عن طريق الادراك ؛ [ب ٧٧] ثم إذا كان الأحق بالاختيار بين شيئاً - كما قلت منذ قليل - ذلك (الشيء) الذي يتصف بنفس الصفة (المزبونة) ؛ (إذا صبح ماضياً) لزم أن يكون الابصار أجمل الادراكات الحسية (٤) بالاختيار وأشرفها جميعاً ، وأن تكون

(١) راجع هذه العبارة من كتاب الشر (٤ ، ١٤٤٨ ب ١٥) « وهكذا فإن السبب الذي يحمل الناس يستمرون برؤية الشابه هو أنهم أثناء تأملهم له يحبون أنفسهم يتسلون أو يستتجون ، وربما يقولون : انه أهوا ذلك (طبعة بنشر ، ليوروك ، ١٩٥١ - ص ١٤-١٥) . النص وترجمته .»

(٢) أي أن القدرة على الإدراك هي التي تميز الحي من غير الحي .

(٣) القوة والقدرة والملكة كلها كلمات تؤدى على اختلاف ظلماً معنى المصطلح الأساسى منه أرسلو وهو القوة والامتداد (الديناميس dynamis) ، اليونانية *δύναμις* التي يمكن أن يصبح فناً وتحتفل (*ενέργεια* - *energeia*) .

(٤) أو أجمل الحواس .

المعرفة الفلسفية أولى بالاختيار من هذه الحاسة ومن صائر الإدراكات الحسية (بل) ومن الحياة نفسها، لأنها (أى المعرفة الفلسفية) هي سيدة الحقيقة . وهذا هو السبب (الذى يدفع) الناس جميعاً على المعنى إلى المعرفة وتفضيلها على أى شىء آخر . [ب ٧٨] أما أن أول ثلاثة الذين يختارون الحياة العقلية (١) قادرون على أن يعيشوا أهناً حياة ممكنة ، فذلك ما يستصحب مما يأتي بعد . [ب ٧٩] ييلو أن من الممكن الكلام عن الحياة بمعنىين : (فتحن نتكلّم عنها) من جهة القوة كما نتكلّم عنها من جهة الفعل . ونحن نصف جميع الكائنات الحية التي لها أعين وولدت قادرة على الإبصار بأنها (كائنات) مبصرة ، سواء أغمضت عيونها عرضاً أو استخدمت قدرتها على الرؤية وأبصرت شيئاً . ويصدق الشيئ نفسه على العلم والمعرفة ، فنصف أحدهما بأنه الاستخدام والنظر الفعلى (٢) ونصف الآخر بأنه امتلاك المقدرة والحصول على العلم . [ب ٨٠] اذاً كنا نميز الحياة من عدم الحياة على أساس امتلاك القدرة على الإدراك الحسى أو عدم امتلاكه ، وكنا نتكلّم عن الإدراك بمعنى ؛ بمعنى اللغوى المعتاد من الاستخدام الفعلى للإدراك ، وكذلك بمعنى امكان الإدراك (٣) (وييلو أن هذا هو السبب في قولنا أن النائم أيضاً يدرك) فقد تبين من هنا أننا نتكلّم عن الحياة ككل ذلك بمعنىين . فنحن نقول عن المتيقظ إنه يحيا بمعنى الحقيقى والكامل للحياة ، ونقول

(١) حرنياً : الحياة التي تتفق مع العقل وتهتم به ، وهي الحياة التي يحبها صاحبها النظر والتأمل والتذير المallas .

(٢) أو المشاهدة التي تتحقق بالفعل - ويلاحظ القارئ أن أرسطر يحاول هنا أن يسطّع نظريته المروفة عن القوة والفعل ، وهي التي طبقها - كملفتاح السحرى ١ - على مختلف مجالات البحث (راجع على سبيل المثال الأخلاق الأوروبية ٢ ، ١٢١٩ ، ١) وكذلك التسليات) .

(٣) أى القدرة عليه والاستعداد له ، ولا يزال أرسطر يتبع بهذه في الإدراك على أساس نظريته عن الوجود بالقوة والوجود بالفعل .

عن النائم انه حي لأنه يملك القوة على الانتقال إلى النشاط الفعال^(١) الذي يبعد علامة على اليقظة وعلى الادراك الفعلى للأشياء. على هذا الأساس وبالنظر إلى هذه التفرقة (بين القوة والفعل) يتحقق لنا أن نقول إن النائم حي : [ب ٨١] ومادمنا إذن نستخدم نفس الكلمة بمعنىين هما الفعل من ناحية والانفعال من ناحية أخرى^(٢) ، فسوف نقول إن الأول يعبر عن المعنى الحقيقي للكلمة أوف تعبير^(٣) . «فيعرف» على سبيل المثال تعني أن امرئاً يستخدم معرفته أو يمتلكها ، «ويりء» تعني أنه يتصير شيئاً أو أنه يملك القدرة على الابصار وفي الحالين يعبر المعنى الأول عن قيمة أعلى : [ب ٨٢] فعندما نكون بصدده أشياء تنطبق علينا نفس الكلمة المنطقية ، لاتتكلم عن «الأعلى» بمعنى «الأكثر» فقط ، وإنما تتكلم عنه كذلك بمعنى الأولى والأسبق (من الناحية المنطقية)^(٤) ووهكذا نقول على سبيل المثال إن الصحة خير أعلى درجة مما يسبب الصحة وأن (الشيء) الذي يكون بمحكم طبيعته وفي ذاته جديراً بالاختيار هو خير يفوق ذلك (الشيء) الذي يتبعه خيراً . بيد أننا نلاحظ أن نفس الكلمة «الخير» تقال على الاثنين معاً ، وإن كانت لا تقال بنفس المعنى ، لأننا نطلق صفة الخير على الأشياء النافعة كما نطلقها على الفضيلة : [ب ٨٣] وهذا يعزز لنا

(١) أو الانتقال من حال القوة والاستعداد إلى حال الفعل والتحقق ، ولكنه والكلمة الأصلية تقييد الانتقال إلى الحركة .

(٢) أي بمعنى الفعل هنا والآن من جهة والوجود في حال معين من جهة أخرى .

(٣) أو بدرجة أكبر وأكمل .

(٤) أي أن ارتفاع قيمة الشيء لا يرجع إلى الكثرة الكمية بقدر ما يرجع إلى الأولوية المنطقية - (يلاحظ أن أسلوب التعميم في هذا التحليل المفوي أسلوب غريب ولكن يليو أن التفرقة بين الأعلى والأدنى كانت شيئاً مألوفاً في الكتابات المعاصرة لأرسطوف وفـ كتاباته نفسها ، فراء يطبقها على شيء المليادين (راجع مثلاً كتاب الخطابة ١ - ٧ و كذلك الفقرة السابقة ب ٣٣) ولبل وراء هذا التمييز «القيسي» بين الأعلى والأدنى وجهة نظر أوسع وأعمق في تسلسل نظام المرجودات وتفرق الروجد على المظهر .

أن نقول أن المستيقظ يحيا حياة أعلى درجة من (حياة) النائم وأن الفاعل بنفسه (١) (يحييا كذلك حياة) أعلى درجة من يمتلك النفس فحسب ولو وضعتنا الأولوية المنطقية نصب أعيننا لأمكنتنا أن نقول إن الأخير يحييا لأن الأول حي ، ذلك أنه في حال تسمح له بأن يعيش حياة الفعل أو الانفعال (٢) . (ب ٨٤) إن الفاعلية تعنى في كل الأحوال ما يلى : إذا توفرت لأحد الناس القدرة على القيام بفعل ومارسه في الواقع ، (فإننا نقول عنه إنه فاعل) ، وإذا كان يمتلك عدداً من القدرات ، كأن يقوم عازف لو قام بمارسة أفضل هذه القدرات وأكبرها قيمة ، كأن يكون عازف الناي مثلاً بالعزف على ناي مزدوج ، فإذا كان يعرف الناي فهو إما أن يكون فاعلاً على وجه الجملة أو فاعلاً على درجة عالية (أى يعرف عزفاً جميلاً) ، وكذلك يكون الأمر في حالات أخرى (عندما تستخدم الكلمة فاعل) . يلزم إذاً أن نقول إن من يفعل (ال فعل) على وجهه الصحيح إنما يبلغ في فعله أعلى درجة . ذلك أن الذي يقوم بمارسة فعل من الأفعال بصورة جميلة ودقيقة إنما يضع هدفاً (وهو التغير) نصب عينيه ويؤدي عمله بطريقة طبيعية (أى يفعل ما أملته عليه الطبيعة) . (ب ٨٥)

إن فاعلية النفس ، كما سبق أن قلت ، تقوم - بصورة تامة أو على نحو التفضيل - على التفكير والتأمل العقلي . ولهذا يسهل علينا أن نرى ، كما يسهل على كل انسان أن يستنتج أن الذي يفكر تفكيراً صحيحاً يحيا أقى حياة ، وأن الذي يبذل أقصى جهده من أجل الحقيقة هو الذي يتفرد من

(١) أى الذي يستخدم قواه النفسية وملكاته ويطبقها بالفعل . ، وسرى بعد قليل أن أعلى الناس درجة هو الحكم الذي يستخدم المطر الأعلى من النفس ، أى يحيا حياة عقلية شاملة متعرجة إلى تأمل الموجودات .

(٢) أى أن علمنا بأن الأول يحيا حياة الفعل الشطة هو الذي يسمح لنا بأن نطلق صفة الحياة على الثاني الذي يقتصر على الحياة بالقروة ، وإن كان في استطاعته أن يستغل إلى حياة الفعل .

دون الناس بأفضل حياة ممكنة (١) ، وهذا ما يفعله الإنسان الذي يفكر ويتفلسف على أساس العلم المتأني في الدقة (٢) . وتتوفر الحياة الكاملة لأولئك الذين يمتلكون المعرفة الفلسفية عندما يقتضون . (ب ٨٦) ولما كانت الحياة عند كل كائن حتى معاوية للوجود ، فمن الواضح أن الفيلسوف (٣) من دون الناس جميعا هو الذي يصلح أقصى درجات الوجود بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة (٤) وخصوصا عندما يمارس أفعاله ممارسة فلسفية ويوجه فكره إلى أقرب الموجودات إلى المعرفة (٥) (ب ٨٧) أضف إلى هنا أن الفاعلية الكاملة التي لا يعوقها عائق تتطوى في ذاتها على الفرح ، ولهذا كانت الفاعلية الفلسفية (٦) أكثر الأفعال بعثا على الفرح . (ب ٨٨) ييد أن الفرح تتفاوت علاقته بالفاعلية . فالشرب بفرح والإقبال على الشرب بفرح ليس نفس الشيء . (٧) إذ لاشيء يمكن من أن يشرب إنسان دون أن يشعر بالعطش ، فيتناول شرابا لا يوفر له متاعة ، (ولا شيء يمكن) أن يحس مع ذلك بالفرح لابتناول الشراب بل لأنه يتلقى له (عرضها) ، أثناء جلوسه في مكان ما ، أن يتأمل شيئاً أو يكون

(١) أى أعلى وأinsi حياة ممكنة والمقصود هو أعلى درجة ممكنة من الحياة ، ولا تكون حياة الإنسان أقيم وأعظم من حياة غيره من الناس حتى يهبه البحث عن الحقيقة ويعيش وفق ما عليه عليه العقل .

(٢) حرفيا : وفق أدق معرفة ممكنة ، والمقصود في رأى أرسطو هو التغلب أو التنظر الخالص الذي ينطلق من البحث عن المبادئ أو العلل الأولى .

(٣) يستخدم أرسطو كلمة المتأبر أو صاحب النظر الفلسفي Phronimos - φρονιμος -

(٤) لعل يريد أقصى درجات الوجود في الشدة والعمق .

(٥) المراد بها المبادئ الأولى التي هي أبسط الموجودات وأيسرها على المعرفة ، لأننا لا نعرف الأشياء التي يمكننا معرفتها إلا عن طريق .. هذه المبادئ - راجع الفقرة السابقة تحت رقم (ب ٤٨) .

(٦) حرفيا : الفعل النظري الخالص .

(٧) هنا يعرض أرسطو نظريته في الوجود بالذات (الوجود الجوهري) والوجود المرضي عرضاً بسيطاً في متناول الجميع ، م يعود في الفقرة رقم ٩٠ إلى نظريته عن القوة والفعل -

هو نفسه موضع التأمل ، سوف نقول عنه (في هذه الحالة) إنه يشعر بالفرح ويشرب بفرح ، ولكن فرجه لا يأتي من الشراب ، كما أنه لا يفرح بالشرب . وبنفس الطريقة نصف كذلك المشى ، والجلوس والتعلم وكل نوع (من أنواع) الحركة بأنه بفرح أو مؤلم ، لأننا نشعر عرضياً بالفرح أو الألم أثناء قيامنا بهذا الفعل ، بل لأننا جميعاً نحس عن طريق هذا الفعل نفسه بالفرح أو الألم . (ب ٨٩) وكذلك نطلق صفة الفرح على تلك الحياة المقرحة التي يكون حضورها مفرحاً بالنسبة لمن يعيشونها ، ولا نتكلم عن حياة مفرحة بالنسبة لمن يكون فرجه بالحياة متعلقاً بشيء ما ، بل بالنسبة للذين تكون الحياة نفسها مصدر فرجهما والذين يسعون بالحياة ذاتها . (ب ٩٠) وبالنظر إلى هذه الاعتبارات نقول إن حياة المستيقظ أعلى درجة من حياة النائم وأن العاقل يحيا حياة أعلى درجة من الحال من العقل ، كما نزعم أن الفرح بالحياة يأتي من استخدام الإنسان للنفس ، ففاعلية النفس هي الحياة الحقة . (ب ٩١) يمكن أن تكون فاعلية النفس على أنحاء مختلفة ، ولكن أهمها جديداً هو أن يفكر (الإنسان) أعمق تفكير ممكن : فمن الثابت إذا أن الفرح الذي يصدر عن التفكير الفلسفى هو وحده أو هو على وجه التفضيل . الفرح بالحياة . وهكذا تكون الحياة في فرح (ويكون) الإحساس الحقيقي بالفرح أمراً يختص به الفلاسفة ومحفهم أو يتعلق بهم على وجه التفضيل ذلك أن فاعلية أصدق أفكارنا التي تعنى على أسمى مبادئ الموجود وتصر دائماً على الاحتفاظ بالكمال الملازم لها ، هذه الفاعلية هي التي تتفوق على كل ماعداها من ألوان الفاعلية في خلق الفرح بالحياة (ب ٩٢) وهذا ينبغي على العقلاء أن يتفلسفوا لكي يستمتعوا بالأفراح الحقيقية الطيبة (١) (ب ٩٣) (هل الحياة العقلية تجعل الإنسان سعيداً؟)

(١) يرجح الأستاذ «ديرنج» أن يكون «ياميليخورن» قد تصرف في هذه الفقرة وأن تكون في الفقرات الأربع التالية (من ب ٩٣ إلى ٩٦) قد تمد اختصار فقرة أصلية مطولة عن السعادة واقتصر على إبراد شهادات متفرقة منها (راجع نظرية أرسطون عن اللذة والسعادة في التعليمات).

يمكننا أن نصل إلى نفس النتيجة ، لا عن طريق النظر في الجزيئات التي تقوم عليها الحياة السعيدة فحسب ، بل كذلك عن طريق تعمق المشكلة وتأمل السعادة (١) من حيث هي كل . فلنؤكّد بوضوح أنه كما تكون غلالة الحياة العقلية (٢) بالسعادة ، كذلك تكون علاقتها بنا تبعاً لما طبعنا عليه من رفعة أو ضعفة (٣) ذلك أن جميع الناس يجدون أن الشيء الجدير بالاختيار هو الذي يؤدي إلى السعادة أو الذي يكون نتيجة مرتبة عليها ، أضف إلى هذا أن الأشياء التي تجعلنا سعداء يكون بعضها ضروريا وبعضها الآخر مفرحا (ب ٩٤) إننا نعرف السعادة إما بأنها ملكة عقلية (٤) ونوع من الحكم ، أو بأنها فضيلة (أخلاقية) أو أعظم قدر ممكن من الفرح ، أو بأنها في كل هذه الأمور مجتمعة . (ب ٩٥) إذا كانت السعادة هي القدرة على التفكير فمن الواضح أن الحياة السعيدة ستكون من نصيب الفلسفه وحدهم وإذا كانت هي فضيلة النفس أو هي الحياة الغنية بالفرح ، فستكون أيضاً من نصيب هؤلاء ، سواء انتصرت عليهم وحدهم أو كانوا أحق بها من الجميع . لكن الفضيلة هي المسيطرة على دخيلتنا (٥) ، وإذا شئنا أن نقارن شيئاً بغيره كانت ملكة التفكير هي أقدر (الأشياء جمعاً) على بث الفرح والسرور ، وحتى لو زعم أحد أن كل هذه الأمور تجلب السعادة (في الحياة) لوجب تعريفها (أى السعادة) بأنها هي القدرة على التفكير (٦) (ب ٩٦) لهذا يجب التفلسف على كل القادرين عليه

(١) أي السعادة في الحياة .

(٢) حرفاً : كما يكون التفلسف بالنسبة للسعادة .. الخ .

(٣) أو تكون علاقتها بطبعنا ، تبعاً لكوننا أناساً ذوي وزن أو أناساً قليل الشأن (قارن الأخلاق النيقوماخية ٦ ، ١٣ ، ١١٤٤ ب ١) .

(٤) أي بأنها القدرة على التفكير والتدبر . الماقول الحكيم *φρονηστις* Phronesis .

(٥) حرفاً : هي الأشد تحكماً أو سيطرة على مايننا .

(٦) أي وجب تعريفها بأهم سمة تميزها وهي القدرة على التفكير .

لأنه إما أن يكون هو الحياة الكاملة نفسها ، أو هو – إن شئنا أن نذكر حالة واحدة – أبغض الوسائل التي تقود النفس إليها . (١) (ب ٩٧) لعل من المناسب الآن أن نسلط الضوء على موضوعنا بذكر بعض الآراء المعروفة بها بوجه عام : (ب ٩٨) من الأمور الواضحة للجميع أنه مامن انسان يمكن أن يختار حياة قد تكون مزودة بأعظم قدر من الثروة والغنى ، بينما يكون هو نفسه محرومًا من القدرة على التفكير ومصاباً بالبلغمون ؛ وهو لن يقدم أيضًا على ذلك لو أتيح له أن يتمتع بأروع اللذات في الوقت الذي يعيش فيه كما يعيش بعض المجانين : ولا مرأء في أن الناس تفر من البلاهة (٢) أكثر مما تفر من أي شيء آخر ، ويفيدوا أن البلاهة مضادة للقدرة على التفكير ، والمرء يتوجب أحد هذين الصدفين ويختار الآخر . (ب ٩٩) ذلك أننا حين نتحاشى المرض (فاما فعل ذلك) لأننا نؤثر عليه الصحة . وعلى أساس هذه الحجة ييلو أيضًا أن القدرة على التفكير هي أقدر الأشياء جميعاً بالاختيار ، (مع العلم بأن هذا الاختيار) لا يرجع في الواقع إلى أي نتيجة مترتبة عليها (٣) . (وهذا أمر توبيه شهادة الرأي العام) : (٤) فحتى لو امتلك امرؤ كل شيء ، وظل مع ذلك مريضًا في نفسه المفكرة مرضًا لأشفاء منه ، فسوف تكون الحياة بالنسبة إليه شيئاً غير جدير بال اختيار ، لأن سائر مزاياه لن تغفي كذلك عنه شيئاً . [ب ١٠٠] من أجل هذا يرى جميع الناس – بقدر ما يتصلون بالفلسفة وتواتهم القدرة على تنبؤ شيء منها – أن بقية الأشياء (تعد بجانبها) عديمة القيمة .

(١) أى إلى الحياة السعيدة الكاملة .

(٢) البلاهة أو البلادة والمحقق وإنعدام التفكير .

(٣) أى أن القدرة على التفكير (أو ملحة التفكير) جديرة في حد ذاتها بال اختيار دون أن يرتبط هذا بأى شيء مترتب عليها .

(٤) هذه إشارة من يابليغرس .

ولهذا السبب لن يتحمل أحد منا أن يبقى حتى نهاية حياته في حال المسكر أو في حال الطفولة .^(١) [ب ١٠١] وهذا السبب نفسه قد يكون النوم في الواقع ممتعًا غاية الإمتاع ، غير أنه لا يمكن أبدًا أن يفضل (على اليقظة) ، حتى ولو سلمنا بأن النائم يتمتع بكل اللذات ^(٢) الممكنة ؛ ذلك أن التصورات ^(٣) (التي ترد) في النوم كاذبة ، أما تصويرات اليقظة فهي على العكس من ذلك صادقة . والحق أن النوم واليقظة لا يختلفان إلا في أن النفس غالباً ما تعرف الحقيقة وهي في (حال) اليقظة أما في النوم فهي تخدع على الدوام ، لأن جميع الأحلام إنما هي صور وأوهام ^(٤) [ب ١٠٢] وكذلك فإن كون الرجل العادى ^(٥) يهاب الموت تدليلًا على رغبة النفس في التعلم والمعرفة . إنها تهرب مما لا تعرفه ، من الغامض والجهول ، وتسعى بطبيعتها إلى الواضح ^(٦) والمعروف . ولهذا السبب قبل كل شيء نقول إن أولئك الذين ندين لهم برؤية الشمس والنور هم أجدر الناس منا بالتكريم ، وأن علينا أن نشعر نحو الآب والأم بالنشوع (والإجلال) لأنهما السبب (فيما نعم به) من أعظم الخيرات ؛ إنما - كما ييلولي - علة معرفتنا بشيء ورؤيته . ولهذا السبب نفسه نسعد بالمواضيعات التي اعتدنا عليها وبالناس الذين أفنائهم ونصف هؤلاء الناس الذين نعرفهم بأنهم أصدقاء ^(٧) . كل هذا يبين

(١) ترد هذه الفكرة أيضًا في الأخلاق الأويديعية ١ - ٥ ١٢١٥ ب .. -

(٢) أو كل الأفراح الممكنة .

(٣) أو التخيلات *Phantasmatα φαντάσματα*

(٤) أو لا واقع كاذب وخادع .

(٥) أو العامة .

(٦) أو المرئى .

(٧) هنا يهيب أسطول بالتراث الاغريقي القديم الذي يبارك النشوع للملة ، واحترام الآباءن والفرح بالصداقة والأصدقاء ، وكثيراً ما يعبد هذان في كتاباته الأخرى ، راجع على سبيل المثال الأخلاق اليقومانية المقالة الثامنة ، ١٦ ، ١١٦٣ ب ب ١٦ .

بجلاء أننا نحب المعروف والمرفى والواضح ؛ وإذا كنا نحب المعروف والواضح ، فنحن بالمثل نحب المعرفة والتفكير . [ب ١٠٣] وكما أن الأمر من وجهة نظر التملك (يقتضى) أن لا تكون الأشياء التي يحصل عليها الناس مجرد العيش هي نفس الأشياء التي يحصلون عليها ليعيشوا سعداء ، فكذلك الأمر بالنسبة لملكة التفكير . إن التفكير الذي يحتاج إليه لمجرد الحياة ليس .. في رأي .. هو نفس التفكير الذي يحتاج إليه للحياة الكاملة^(١) . ولا بد أن تلتمس العذر للرجل العادى إذا قصر جهده على الجانب الأول ؛ صحيح أنه يصل من أجل (الحصول على) السعادة (في الحياة) ، ولكنه يشعر بالإبهاج إذا تمكن من مجرد العيش . وإذا وجد انسان يرفض أن يرضى بالحياة بأى ثمن ؛ فإن من المضحى حقاً أن لا يتمكن كل جهد ويشق على نفسه بكل وسيلة لكي يحصل على ملكة التفكير تلك التي تمكنه من معرفة الحقيقة (ب ١٠٤) وفي وسعنا أن نعرف نفس الشيء مما سيأتي بعد إذا استطعنا أن ننظر إلى الحياة البشرية نظرة خالصة : عندئذ منكتشف أن جميع تلك الأشياء التي تبدو للناس عظيمة ليست سوى لعب بالظلال . وهذا يقال أيضاً بحق إن الإنسان عدم^(٢) وألاً شئ مما يخص الإنسان له ثبات (أو دوام) . فالقوة والاعظمة والجمال أشياء مضحكة ولا قيمة لها ، وهي لأنها على هذه الصورة^(٣) إلا لعجزنا عن رؤية أى شئ رؤية دقيقة .

(١) وهنا يذكر أسطور بوضوح ما عرفناه من قبل من أن التفكير يدل من ناحية على الفطنة العملية في الحياة كما يدل من ناحية أخرى على التفكير النظري الخالص .

(٢) أو لاشى ، واللعب أو الرسم بالظلال كلمة وردت في محاورة «فايدون» لأنفاطون (أنظر التعليقات) .

(٣) أى أنها مجرد خبرات ظاهرية ، تخدعنا أو تخدع أنفسنا فنظلها خبرات حقيقة - ويردد «بوتيوس» هذه العبارة بنفس الأنفاظ تقريباً على لسان سيدة الحكمة الخلية التي تواسي السجين المحكوم عليه بالموت وتشجعه على مواجهة مصيره بكبريه «ان مايدل لك جيلاً لا يرجع لطبيعته بل لو هن بصرك » - انظر عرض كتابه «عزاء الفلسفة في مدرسة الحكمة» لكاتب الطسوي ..

[ب ١٠٥] ولو استطاع أحد أن يبلغ من حدة البصر مبلغ لينكويوس^(١) الذي يروى عنه أنه كان ينفل ببصره خلال الجدران والأشجار فهل كان في مقدوره أن يتحمل رؤية رجل (مثل ألكيبياديس المحتفى به) (٢) إذا رأى معه كل البيئون الذي ركب منه؟ إن الشرف والشهرة (٣)، اللذين اعتناد الناس على المسعي وراءها أكثر من أي شيء آخر، يطفئان (في الواقع) بعمق لا يوصف، لأن من رأى شيئاً من الأمور الأبديّة سيجد من السذاجة أن يبذل جهداً في سبيل هذه الأشياء، وأى شأن من شأنوّن الإنسان دائم أو طويل العمر؟ إن ضعفنا وقصر حياتنا هما... فرأى... اللذان يجعلان هذا الشيء يبدو لنا عظيماً [ب ١٠٦] لو أخذنا هذا في الاعتبار فمن ذا الذي يملك أن يزعم بأنه سعيد وبماراثمن منا نحن الذين نسألنا سواء بحكم الطبيعة منذ البداية (كما يقال عندما يسمح لأحد الناس بالازتماء إلى عبادة الأسرار) وكأن علينا أن نكفر عن ذنب جينياه؟ (٤) ألا أنها حكمة إلهية من القدماء عندما قالوا إن على النفس أن تقدم الكفارة وأن حياتنا عقاب لنا على ذنوب كبيرة ارتكبناها. [ب ١٠٧] وإن الصورة التالية لنوضح في

(١) يذكر أفلاطون في رسالته السابعة - التي كتبت في نفس الوقت الذي ألف فيه أرسطو هذا الكتاب - اسم ليتكوريس الذي تفتت الأساطير بعده بصره في معرض حديثه عن أولئك الذين يعجزون عن فهم الفلسفة ويتميز ليتكوريس نفسه عن جملهم ببصريون (الرسالة السابعة ٣٤٤-٣٤٥). انظر نصها في كتاب المتنف).

(٢) الكياديين (من سوال ٤٠٤ إلى ٤٠٥). هو الفارس الأغرق (النفس) صديق سقراط الجميل الذي قربه بركليس إليه وذاعت شهرته في أثينا ثم تسبب في نكباتها في الحرب وفر إلى إبراطره وأتهم بالخيانة في أواخر حياته. (ولم يردحياته). الاسم في نفس ياميليخوس، وإنما ورد عنه بورتيوس (عزاء الفلسفة) الذي أخذ له على الأرجح عن كتاب شيرون هورتنبيوس أو الحث على دراسة الفلسفة.

(٢) أو المجهة والسمة الطبية .

(٤) لعلها إشارة إلى عقيدة الأورفيين التي يتردد صداها في عبارة أنكستدر الوسيدة وعند النينغثوروس وأفلامون ، ولعلها ذات أصول شرقية .

رأى ارتباط النفس بالجسم توضيحاً تاماً . فكما يروى عن الثوريين من أئمـة كثـيراً ما كانوا يلـجـاؤـن إـلـى تعـذـيبـ المـسـاجـينـ بـبرـيطـ الأـسـيـاءـ (مـنـهـمـ) بـجـثـ المـوقـ بـجـيثـ يـجـعـلـونـ الـوـجـهـ فـمـواـجـهـةـ الـوـجـهـ وـيـقـيلـونـ الـعـضـوـ بـالـعـضـوـ، فـكـلـلـكـ يـبـلـوـ أـنـ النـفـسـ مـنـشـرـةـ فـالـجـسـدـ وـمـلـتـصـقـةـ بـكـلـ أـعـصـائـهـ الـحـاسـةـ (١) . [بـ ١٠٧] ~ـإـذـاـ فـلـيـسـ عـنـدـ الـبـشـرـ مـاـهـوـ الـهـىـ أـوـ مـبـارـكـ سـوـىـ هـذـاـ الشـىـءـ الـوـاحـدـ الـذـىـ يـسـتـحـقـ وـحـدـهـ أـنـ يـبـذـلـواـ الـجـهـدـ (مـنـ أـجلـهـ)، وـأـقـصـدـ بـهـ مـاـيـوـجـدـ فـيـنـاـ مـنـ الـعـقـلـ وـمـلـكـةـ الـفـكـرـ. وـيـبـدـوـ أـنـهـ وـحـدـهـ الـخـالـدـ، وـهـوـ وـحـدـهـ الـإـلـهـ مـنـ كـلـ مـاـيـنـطـوـيـ عـلـيـهـ كـيـانـاـ (٢) . [بـ ١٠٩] وـاـنـ حـيـاتـاـ، عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـهـ بـطـيـعـتـهاـ شـقـيـةـ وـمـضـيـةـ قـدـ نـظـمـتـ بـفـضـلـ قـدـرـتـنـاـ عـلـىـ الـمـشـارـكـةـ فـيـ هـذـهـ الـمـلـكـةـ ~ـ تـنـظـيـمـاـ بـلـغـ مـنـ الـرـوـعـةـ حـدـاـ يـجـعـلـ الـإـنـسـانـ يـبـلـوـ إـلـهـاـ بـالـقـيـاسـ إـلـىـ سـائـرـ الـكـائـنـاتـ الـحـيـةـ . [بـ ١١٠] ذـلـكـ أـنـ الشـعـراـءـ يـقـولـونـ بـحـثـ «ـاـنـ الـعـقـلـ هـوـ الـإـلـهـ (الـكـامـنـ)ـ فـيـنـاـ (٣)ـ، كـمـاـ يـقـولـونـ إـنـ حـيـاةـ الـإـنـسـانـ (الـغـائـيـةـ)ـ تـنـطـوـيـ عـلـىـ جـزـءـ مـنـ الـإـلـهـ»ـ. هـكـذـاـ يـنـبـغـيـ عـلـىـ الـإـنـسـانـ إـمـاـ أـنـ يـتـفـلـسـفـ أوـ يـوـدـعـ الـحـيـاةـ وـيـعـضـيـ مـنـ هـنـاـ (٤)ـ؛ إـذـ يـبـدـوـ أـنـ كـلـ مـاعـداـ ذـلـكـ إـنـماـ هـوـ ثـرـثـرـةـ حـمـقـاءـ وـلـفـوـ فـارـغــ :

(١) رـبـاـ يـقـصـدـ أـرـسـطـوـ أـنـ جـمـيعـ الـأـصـادـاءـ اـسـلامـاـتـهـ فـيـ الـجـسـمـ عـنـدـكـ الـحـيـةـ .

(٢) أـوـ مـنـ كـلـ مـاـيـنـاـ وـمـاـيـسـهـ كـيـانـاـ مـنـ مـلـكـاتـ وـقـدـراتـ ..

(٣) يـنـبـ يـابـلـيـخـوـسـ هـذـاـ النـصـ إـلـىـ الـفـلـيـسـفـ أـنـسـكـاـجـوارـاسـ (ـمـنـ حـوـالـ ٤٩٩ـ إـلـىـ ٤٢٧ـ قـ.ـمـ.)ـ (ـالـذـىـ يـرـوـىـ أـنـ الـقـلـلـ نـوـسـ)ـ هـوـ الـمـبـدـأـ الـمـحـرـكـ الـذـىـ يـكـوـنـ الـأـشـيـاءـ وـيـنـظـمـ الـكـوـنـ، وـهـذـاـ يـكـنـ أـنـ تـقـالـ هـذـهـ الـعـبـارـةـ عـلـىـ الـوـجـهـ التـالـىـ :ـ اـنـ نـوـسـ هـوـ الـإـلـهـ الـكـامـنـ فـيـنـاـ»ـ .

(٤) رـاجـعـ فـيـ هـذـاـ الصـدـ مـخـاـورـاتـ أـفـلاـطـونـ التـالـيـةـ :ـ «ـجـورـجـيـاسـ،ـ ٥١٢ـ،ـ ثـيـاتـيـيـوسـ ١٧٦ـ أـبـ،ـ فـيـوـنـ ٦٤ـ أـ،ـ حـيـثـ بـجـدـ النـصـ بـاـحـتـارـ الـخـيـرـاتـ الـأـرـضـيـةـ،ـ وـعـارـسـةـ الـفـلـسـفـةـ وـالـبـحـثـ عـنـ الـسـعـادـةـ فـيـ الـفـلـسـفـةـ .ـ وـاـذـ كـانـ أـفـلاـطـونـ يـهـمـ بـاـنـ يـصـبـعـ الـإـنـسـانـ مـسـتـقـيـماـ وـعـادـلـاــ،ـ فـاـكـثـرـ الـنـاسـ عـدـلـاـ هـوـ أـفـرـيـمـ إـلـىـ أـفـهــ،ـ فـاـنـ أـرـسـطـوـ يـخـتـلـفـ عـنـ الـاـهـمـاـمـ بـالـاـهـ،ـ مـنـ قـيـمةـ الـقـلـلـ وـالـمـاـيـةـ وـفـقـاـ الـقـلـلـ وـالـبـصـيرـةـ الـفـلـسـفـةـ .ـ

تعليقات وشروح

(ب ٢ - ٥) تقوم الفكرة الأساسية في هذه الفقرات من النص على أن سمو الخلق في ظل الفقر أفضل من الجاه والغنى مع الشر والاحتطاط ، وأن السعادة لا تتحقق على امتلاك الخيرات والمظاهر الخارجية بل على الحالة النفسية الطيبة . وقد انطلق أرسطو من أفكار مشابهة وردت في محاورات أوبيشيديموس (٤٢٧٨ - ٤٢٨٢ د) والدفاع (٤٩ د) والقوانين (٦٦١ ب) لأفلاطون . أما عن الفكرة التي ترد في الفقرة (ب ٣) عن التعباء الذين يقدرون الثروة أكثر مما يقدرون خيرات النفس في يمكن الرجوع فيها إلى جمهورية أفلاطون (١ - ١٣٢٣ أ - ٢٣) والأدلة الأخلاقية (٨ - ٣، ١٤٤٨ ب - ٢٧ - ٣٧) . (ب ٦) يعتمد النص في هذه الفقرة على عبارة الاسكندر الأفروديسي (في شرحه لطوبيقا أرسطو) والتي يذكر فيها كلام أرسطو عن ضرورة الفلسف أو عدم ضرورتها في كتابه الحال (البروتريبيتقوس) . أما العبرة المشهورة التي تحدثنا عنها في المقدمة عن ضرورة الفلسف في كل الأحوال فلم ترد في هذا الكتاب بنفس الصيغة المأثورة ، وإن كانت الفقرة الأخيرة منه (ب ١١٠) تعبر عن معناها تعبيراً واضحاً . (ب ٧ - ٩) يبدو أن «يambilخوس» تدخل في هذا النص بالاختصار والتعديل الشديدين . ولعل أرسطو كان يعبر في الأصل عن الأفكار التالية التي نقدمها بترتيب الفقرات :

- ١ - نريد أن نتناول بالبحث دور الفلسفة في الحياة العملية، وبخصوصها أهميتها بالنسبة للسياسي أو رجل الدولة .
- ٢ - إن الجسد والأشياء المادية مجرد أدوات ، وسوء استخدام هذه الأدوات مصر ، وضررها يصيب من يسىء استخدامها أكثر مما يصيب غيره ، وهذا ينبغي علينا تحصيل العلم بطريقة استخدام الأدوات . وتشتد ضرورة هذا التحصيل عند السياسي لأنه أحوج الناس إليه .

٣ - ربما يكون أرسطو قد تعرض ضمناً لتفرقة أفلاطون الخامسة بين التفكير والإدراك الحسي ؟ فملوّضات التي يحققها الفكر هي المثل المتعالية ولهذا يتحرّك الفكر الحالص في عالم آخر هو عالم المعقولات المجردة ومن هنا يختلف العلم عنده اختلافاً حاسماً عن الرأي أو الظن ولا يتطابقان بحال . وإذا تبعنا الترعة الحسية عند أرسطو كما عرضها في كتاباته عن النفس وجدنا أن صور المخلية هي التي تحقق الملكة الموجودة في العقل بالقوة تحقيقاً فعلياً، أي أنها تتحقق في العقل الذي يمكن أن يعده في هذه الحالة مرحلة راقية من ملكة التصور والتخيل . بهذه يكون الفرق عندئ بين العلم والرأي فرقاً في الدرجة فحسب (إذ لا يحتاج العلم أن يكون مختلفاً عن مجرد الرأي ، بشرط أن يقوم هذا الأخير على أساس متين – قارن الطوبيقا ٦-٢ ، ١٣٩ ب ٣٣ – واتحاللات الثانية ١-٢ ، ٧٢ ب ٣) والملاحظ على كل حال في هذا الموضوع وفي الكتاب كله أن أنكار أرسطو تبدأ من التجربة لتنتهي إلى النظر الحالص ، وذلك على العكس من أفلاطون الذي يبدأ عادة من النظر ليصل أو لا يصل ١ - إلى عالم التجربة :

وهذا في الواقع تعبر عن التعارض الأساسي بين تفكير الرجلين ومنهجهما في البحث – أما عن العبارة التي تبدأ بها هذه الفقرات من النص «لما كنا نتوجه بمحاجتنا إلى أناس من البشر ، لا إلى أولئك الذين

ـ لهم حياة ذات طبيعة إلهية .. الخ فهي تذكرنا بعبارة مشابهة لأفلاطون
ـ تقول إن علينا أن نتكلّم عن البشر لاعت الالهـة (القوانين ٨٧٣٢)
ـ فهل يحق لنا أن نسأل : أكان أرسطو متأثراً بأفلاطون ، أم تأثر أفلاطون
ـ !!
ـ بأرسطو ١٩ .

ـ (بـ ١٠ - ١٧) تلمس هذه الفقرات فكرة أرسطو عن «الغاية»
ـ وهي الفكرة التي توج مذهبـه وتطبعـه بخاتـها . ولقد هوجـمت فلسـفة
ـ ولاـتزال تـهاجم بـسبب هذه الفـكرة، وأـدينـت ولاـتزال تـدان بـتهمـة
ـ تعـويـق تـطـور العـلـم الطـبـيعـي الـذـى لاـيـبـحـث ولاـيـنـبغـى لـه أنـيـبـحـث عن
ـ الغـاـيـة ، وأـنـما يـدـرس أـسـبـاب الـظـواـهـر وـعـلـاقـاتـها بـعـضـها البعضـ ليـصـوـغـها
ـ فـيـ النـهاـيـة فـيـ صـورـة رـياـضـيـة وإـحـصـائـيـة تـعـتـلـ قـانـونـا عـامـا يـحـتمـلـ التـعـديـلـ .
ـ وـالـحـقـ أنـ فـكـرةـ الغـاـيـةـ عـنـدـ أـرـسـطـوـ لـيـسـ فـكـرةـ تـأـملـيـةـ مجرـدةـ كـمـاـ
ـ يـتصـورـ بـعـضـ الـبـاحـثـينـ ، وـإـنـماـ تـقـومـ عـلـىـ وـقـائـعـ تـجـريـيـةـ وـتـلـخـصـ عـدـدـاـ
ـ مـنـ أـفـكـارـهـ الـأسـاسـيـةـ . وـالـعـبـارـةـ التـالـيـةـ مـنـ «ـالـكـوـنـ وـالـفـسـادـ»ـ (٢ـ -
ـ ١٠)ـ تـمـثـلـ رـأـيـةـ فـيـهاـ : «ـإـنـ الـكـوـنـ وـالـفـسـادـ دـوـرـةـ خـالـدـةـ (ـأـزـلـيـةـ أـبـدـيـةـ)ـ.
ـ وـهـذـاـ الـاسـتـمـارـ سـبـبـ لـاـغـبـارـ عـلـيـهـ ، وـأـقـصـدـ بـهـ اـنـظـامـ الـطـبـيعـةـ (ـقـانـونـيـمـ)ـ
ـ وـأـنـهاـ تـسـعـيـ دـائـيـاـ إـلـىـ الـأـفـضـلـ . وـتـلـقـيـ فـيـ الغـاـيـةـ بـعـضـ تـصـورـاتـهـ
ـ الرـئـيـسـيـةـ : حـضـورـ الـعـامـ أـوـ «ـالـصـورـةـ»ـ (ـالـأـيلـوسـ)ـ (١ـ)ـ فـيـ حـيـاةـ
ـ الـطـبـيعـةـ الـمـبـدـعـةـ ؛ـ الـخـشـوعـ وـالـإـجلـالـ لـلـدـوـرـةـ السـهـاءـ ذاتـ النـجـومـ ،ـ ،ـ
ـ وـهـىـ الدـوـرـةـ الـتـىـ تـخـضـعـ لـقـانـونـ يـسـطـيعـ الـعـقـلـ الـبـشـرـىـ أـنـ يـعـرـفـهـاـ
ـ وـيـحـسـبـهـاـ ؛ـ الـجـمـالـ الـرـائـعـ الـذـىـ يـتـجـلـيـ فـيـ كـلـ كـائـنـ حـىـ نـاـضـجـ مـزـدـهـرـ
ـ صـوـاءـ أـكـانـ هـذـاـ كـائـنـ الـحـىـ نـبـاتـ أـمـ حـيـوانـ أـمـ إـنـسـانـ (ـمـصـدـاـقاـ لـقـولـهـ
ـ فـيـ «ـأـبـزـارـ الـحـيـوانـ»ـ إـنـ الغـاـيـةـ الـنـهـائـيـةـ الـتـىـ مـنـ أـجـلـهـاـ يـنـشـأـ شـىـءـ أـوـ يـكـونـ
ـ قـدـ نـشـأـ ؛ـ هـذـهـ الغـاـيـةـ حـلـتـ مـحـلـ الـجـمـيلـ ١ـ ،ـ ٥ـ ،ـ ٦٤٥ـ ،ـ ٢٥ـ)ـ ؛ـ وـأـخـيرـاـ
ـ الـحـقـيـقـةـ الـثـابـتـةـ الـتـىـ تـؤـكـدـ أـنـ مـنـ بـذـرـةـ وـاحـدـةـ يـنـشـأـ فـردـ مـنـ نـفـسـ نـوـعـ

الفرد الذى تولدت عنه تلك البذرة ، ومن ثم يلد الإنسان الإنسان ، كما تقول عبارته التى يكررها فى كثير من كتاباته -. والغاية - شأنها شأن أغلب أفكار أرسطو الرئيسية ، مستلهمة عن نبع أفلاطون الجياش وإن كانت تأخذ على يديه صورة أخرى مختلفة عن صورتها عند أستاذه (قارن دورة الكون والفساد بالدورة الحيوية كما ترد على لسان ديوقراطى فى خطبها المشهورة في محاورة المأدبة) . ويعبر كلام أرسطوفى الفقرة (ب ١٤) عن نواة فكرته عن الغائية : فإذا كانت الصنعة البشرية - إلى تتجه بطبيعتها إلى تحقيق هدف أو غاية - تماكى الطبيعة ، فلا بد أن يكون النظام资料 الطبيعى نفسه غائباً . بل إن الفيلسوف الذى يرتفع فوق العمال اليستويين وأرباب الحرف العـاديين يقتبس نماذجه من تأمل « الطبيعة نفسها » - والسمو والرقة المذكوران في الفقرة (ب ١٦) يبرزان غائية أرسطوفى أوضحت صورة . فالسامى هنا مرادف للكمال والإلهى (انظر الاخلاق النicomاخية ١ - ١٢) : وكل ما أبدعته الطبيعة في رأيه الملى (أجزاء الحيوان ١ - ٥ ، ٥ - ٦٤٥ ١٥ - ٢٠) . أما الحيوانات الدنيا فهي ناقصة أو غير سامية . وربما يرد أرسطوفى بهذا على كاتب آخر أراد أن يفسر الغاية الطبية التي تقصد إليها الطبيعة فتصور أن كل الحيوانات ضارة ومؤذية . أما العبارة الأخيرة في (ب ١٧) « إننا نعيش لكي نفكـر في شـي ونـتـلـعـم » فهي متفقـة من عبارتين آخريـن وردـت الأولى أنسـاءـ كلامـهـ عنـ فيـثـاغـورـسـ وـتـأـكـيدـهـ أنـ الإـلهـ أوجـدـ الإـنـسـانـ لـكـيـ يـعـرـفـ وـيـنـظـرـ (ب ٢٠) ، وجـاءـتـ الثـانـيـةـ فيـ مـعـرـضـ كـلامـهـ عنـ فـاعـلـيـةـ التـفـكـيرـ وـأـنـهـ هـيـ التـفـكـيرـ وـالـنـظـرـ .

(ب ١٨ - ٢١) لا تزال هذه الفقرات من النص موضع اختلاف كبير بين العلماء ، إذ يشك البعض في صحة نسبتها إلى الكتاب الحالى والعبارة المسوبتان إلى فيثاغورس وأنكسماجو راس مذكورةان في « الأخلاق الأويديمية (١ - ٥ ، ١٢١٦ ١١) : ويلاحظ من النص أن أرسطوفى يصف الطبيعة

بأنها إلهية ويعملها في كثير من الأحيان مرادفة للإله (انظر بـ ٥٠ من النص) ومن المعروف أن إله أرسطو هو المحرك الأول الذي لا يتحرك كما أن «الإله» يشمل الطبيعة كلها (انظر كتاب الميتافيزيقا ، مقالة اللام ٩ ، ١٠٧٤ أ ٣٨ - ب ١٤ وكذا ٧ ، ١٠٧٢ ب ٢٩) وعبارة المشهورة التي يقول فيها «إن الإله والطبيعة لا يصنعان شيئاً عيناً أو باطلًا»، (عن السماء ١-٤ ، ٢٧١ ٣٣ تؤكد أن الإله عنده هو الطبيعة نفسها). (انظر كذلك المؤلفات المجموعة تحت اسم أبقراط) وكذا مسرحية الطرواديات ليو ربيلز ، البيت ٨٨٦ -) أما ما يقوله في (ب ٢٠) عن نظام الكون أو أي طبيعة أخرى فلعله يشير إلى الطرفين المتقابلين : دراسة الطبيعة والبحث فيها على طريقة الفلاسفة الطبيعيين أو الأيونيين وعلى طريقته هو نفسه من ناحية ، وتراث البحث الذي يبدأ من ناحية أخرى بالاليين وبلغ ذروته في نظرية أفلاطون عن المثل ومبادئ الوجود. ويرجع الأستاذ «ديرنج» سقوط أجزاء من النص كانت تقع بين الفقرتين ٢٠ ، ٢١ وهو أمر يدعو للأسف ، لأن الفقرة الأخيرة توحي بأن أرسطو كان يهدى لفكرة لم تصل إلينا عن الصلة بين البصر الخلقي والتبصر النظري ، بين استخدام العقل في التفكير لتحقيق الغاية من وجود الإنسان ، وواجهه أن يعمل كل شيء من أجل الخسir الكامن في نفسه : ولا غرابة في أن تتوقع إضافات مفقودة ، لأن هذا الجمجم بين «النظر والخير» هو أساس التراث المتصل من سocrates وأفلاطون حتى أرسطو الذي تقوم عليه الترعة الإنسانية القديمة بأكملها : ومع ذلك فالإشارة السابقة كافية لمعرفة موقف المعلم الأول الذي يتعدد بوضوح في مواقع أخرى من هذا الكتاب وفي الأخلاق إلى نيكوماخوس . ويكون أيضاً تعزيز هذا الموقف أن نراجع العبارات التالية المتناثرة في تصاعيف الكتاب : «ويشعرون بالخجل من أن وضعهم الحاضر لا يحفزهم على النهوض بما يرون واجبا عليهم»، (ب ٢)، «نحن جميعاً نختار ما يكون في نفس الوقت

يمسورة ونافعاً ، ومن ثم يجب الاعتراف بأن الفلسفة تملك هاتين الصفتين «(ب ٣١)» ، «ومن ذا الذي يمكنه أن يمثل لنا المعيار الدقيق ويكون لنا بمثابة الدليل الاهادي إلى الخبر غير الإنسان الحكيم؟ إن اختياره يتم على أساس العلم» «(ب ٣٩)» ، «ما من شيء يمكن أن يقولوا لنا خيراً إن لم تتحقق الغاية منه عن طريق النشاط العقلي» «(ب ٤١)» ، ... «وبهذه الطريقة نفسها يتحقق على السيمامي أن تكون لديه معايير معينة يستمدّها من الطبيعة نفسها ومن الحقيقة ويستعين بها في الحكم على ما هو عادل» «(ب ٤٧)» ، «إن سلوك الفيلسوف وحده هو السلوك (أو الفعل) الصحيح» «(ب ٤٩)» ، «وعلى الجملة فتحن نكتسب عن طريق هذه المعرفة كل ما هو خير» «(ب ٥١)» ، ... إن كل ما هو خير للإنسان ونافع للحياة إنما يكمن في الفعل والممارسة لا في مجرد المعرفة [النظرية] بالخبر ، «إننا لنجني حياة طيبة (جميلة ونبيلة) عن طريق معرفتنا ببعض الحقائق عن الموجود ، بل من خلال عملنا الطيب» «(ب ٥٢)» أصف إلى هذا كله ما يقوله شيشرون «لقد ولد الإنسان ، كما قال أرسطو ، لأمررين : ليعقل ويعمل ، وهو لهذا أشبه بإله فان» . وكل هذه النصوص تؤكد اقرار ان الفكر بالعمل عند أرسطو ، كما تؤكد ما يقوله بعض المحدثين والمعاصرين (ماركس وفيتشين مثلاً) من أن التفلسف في صميمه فعل ، مهما اختلفوا في مفهوم هذا الفعل . يبقى أن نقول إن أضعف نقطة ينفذ منها الناقد إلى النظرية الغائية هي هذه : فأعلى أشكال المعرفة عند أرسطو هو معرفة الغاية والـ «لماذا» . ولكن ما الذي يضمن أن ينصرف المتألف «الذى يثبت بصره على الطبيعة نفسها» ويستخدم عقله استخداماً صحيحاً - ما الذي يضمن أنه سينصرف إلى فعل الخير أو يفكر في القيام به أو يجده إن حاول طلبه؟ ألا يقدم تاريخ العالم القديم والحديث ألف دليل ودليل على أن أبغض الشرور لم يأت إلا من الذين يسمون بالقلاع ويبلغون من «العلم» درجات ودرجات؟! ألا يزيد العقل من شرور من لا يكون خيراً بطبعه؟!

وَكِيفَ نَفْسُ الْعَرَبِ مَظَالِمُ الْأَسْتَعْنَارِ وَفَطَائِحُ الصَّهِيْنَيَّةِ وَمَظَاهِرُ
الْعَلَوَانِ وَالتَّعْذِيبِ وَالتَّهْرِيرِ فِي أُوْطَانَنَا وَفِي عَالَمَنَا الْمُعَاصِرِ ١٩ - (ب٢٢
- ٣٠) يَبْدُو أَنَّهُ لَنْ يَمْكُنُنَا أَنْ نَقْطِعَ بِأَنَّ هَذِهِ الْفَقَرَاتِ مَأْخُوذَةِ عَنْ
كِتَابِ أَرْسَطُو الْأَصْلِيِّ (الْبِرُوتُرِيَّقُوسُ). صَحِيحٌ أَنَّهَا تَشِيرُ إِلَى بَعْضِ
الْأَفْكَارِ الَّتِي يَتَنَاهُوا أَرْسَطُونَ بِالتَّفْصِيلِ فِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى مِنَ الْكِتَابِ
وَلَكِنَّهَا تَضَمِّنُ أَفْكَارًا أُخْرَى وَجَهَاتَ نَظَرٍ أُخْرَى لَا تَرْدُ فِي الشَّنَرَاتِ الْبَاقِيَّةِ
مِنْهُ. وَلَعِلَّ الْأَرجُحُ أَنَّ تَكُونُ مَقْتَضَفَةً مِنْ كِتَابٍ آخَرَ مِنْ كِتَابِ أَرْسَطُو
الْمَفْقُودَةِ، وَنَمْسِطِيْعُ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْ نَقْسِمَ نَصوصَ هَذِهِ الْفَقَرَاتِ إِلَى
ثَلَاثَةِ اقْسَامٍ: (١) فَالْقَسْمُ الْأَوَّلُ (مِنْ ٢٢ إِلَى ٢٤) أَرْسَطَطَالِيِّ يَعْتَبِرُ
وَإِنْ كَانَ يَامْبِلِيْخُومُنَ قَدْ غَيَّرَ فِيهِ تَغْيِيرَاتٍ طَفِيفَةٍ - وَالْعَبَارَةُ الْأَوَّلَى
فِي الْفَقْرَةِ (٢٣) تَقُولُ: لَمَا كَانَ النَّظَامُ (أَوِ الْعُقْلُ) يَسُودُ الطَّبِيعَةَ
كَلَّا... الْخُ وَالْكَلْمَاتُ الْأَصْلِيَّةُ تَفِيدُ أَنَّ الطَّبِيعَةَ تَمْلِكُ الْعُقْلُ. وَعَبَاراتُ
أَرْسَطُو وَاسْتَعْنَارَتِهِ الَّتِي يَتَحَدَّثُ فِيهَا عَنِ الطَّبِيعَةِ الَّتِي تَحْيَا وَتَعْمَلُ
الْتَّغْيِيرَ وَتَرْيِيْدَهُ... الْخُ تَدْلُ عَلَى اِنتَظَامِ سِيرِ الْأَحْدَاثِ الطَّبِيعَةِ وَخَصْرُونَهَا
لِلْقَانُونِ يَحْكُمُهَا. وَالْمَلَاحِظُ فِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ نَفْسُهَا أَنَّ أَرْسَطُو لَا يَكَادُ
يَقْدِمُ فِكْرَتَهُ عَنِ الْأَجَاهِ الطَّبِيعَةِ نَحْوَ الْمَدْفَ (ب٢٣) حَتَّى يَفَاجَنَا بِكَلامِ
جَدِيدٍ عَنْ تَقْسِيمِ الإِنْسَانِ إِلَى نَفْسٍ وَجَسْدٍ، ثُمَّ تَقْسِيمِ النَّفْسِ إِلَى جَزْءَيْهِ
غَيْرِ عَاقِلٍ وَآخِرِ عَاقِلٍ يَبْلُغُ زَرْوَتَهُ فِي الْعُقْلِ (الْنُّوسُ). فَهَلْ يَؤْكِدُ هَذَا أَنَّ
النَّاقِلُ قَدْ أَسْقَطَ أَجْزَاءَ مِنْ كِتَابِهِ أَوْ أَقْحَمَ عَلَيْهِ أَجْزَاءَ أُخْرَى مِنْ كِتَابِ
لَا نَعْلَمُهُ؟ (٢) الْقَسْمُ الثَّالِثُ (مِنْ ٢٤ إِلَى ٢٨) يَقْوِمُ عَلَى التَّفْرِقةِ
الْمَعْرُوفَةِ بَيْنِ الْغَايَةِ وَبَيْنِ مَا يَكُونُ وَسِيلَةً لِلْغَايَةِ، وَيَؤْكِدُ أَنَّ الْفَعْلَ الْعُقْلِيِّ
الَّذِي يَعْمَلُنَا لِذَانَهُ أَعْلَى قَدْرًا وَأَكْبَرَ شَرْفًا مِنْ أَى فَعْلٍ آخَرَ يَتَوَسَّلُ
بِهِ لِلْغَايَةِ غَرِيْبَةِهِ: وَقَدْ سَبَقَ أَفْلَاطُونَ إِلَى الْفَكْرَةِ نَفْسُهَا (أَنْظُرْ مَثلاً
مَحاوِرَةً جَوْرِ جِيَاسِ ٤٦٧ د) كَمَا وَرَدَتْ عَنْ أَرْسَطُو لَأَوْلَى مَرَةٍ فِي الْبَدْلِ

أو الطوبقا (٢-٣، ١٨ بـ ١١٠) قبل أن تصبح حجة يلجم إلها باستمرار .

(٣) والقسم الثالث (من ٢٨ إلى ٣٠) قد أصابه تعديل كبير على يدي أميلخوس ، ولعله لم ينقله عن كتاب أرسطو الضائع ، بل عن مصدر آخر يرجح الأستاذ فلاشار ، أنه كتاب بنفس العنوان لفروفيوس (الميد أفلوطين وكاتب سيرته) ، وهذا نجد في النص تأثيرات رواية وأفلاطونية محدثة وفيثاغورية جديدة . ومع ذلك لا يمكننا أن نجد النص تماماً من الروح الأفلاطونية والأرسطية . فتقسيم وظائف النفس والحياة عموماً إلى نامية أو غاذية (نباتية) وحسنة (حيوانية) ونافقة تقسيم أرسطي معروف ، والقول بأن العقل (نوم) هو العنصر الإلهي في الإنسان يرد بوضوح في الفقرة الأخيرة من الكتاب الذي بين أيدينا (١١٠) كما يعبر عنه في الأخلاق النيقمانية (المقالة العاشرة ، ٧ ، ١١٧٧ بـ و ١١٧٨ أـ) وكذلك عند أفلاطون في محاورة ثيائتيوس (١٧٦ بـ) . - (بـ ٣١ - ٣٧) يلاحظ أن تعبير الأيسر والأتفع لا يقصد به التقىم الأخلاق ، وإنما يقصد به الأولوية وتقدم المبدئ على الثانوي والأصل على الفرع ، وهي حجة يلجم إلها أفلاطون وأرسطو . والمعنى في (٣٣) واضح : إن العناصر (أو العوامل) البسيطة أوضح وأقرب إلى المعرفة من الأشكال المتنوعة التي تتجلّى بها في عالم الظواهر وتصور عادة أنها أيسر منها في المعرفة ؛ فالحرف البسيطة أسهل في المعرفة .. الخ وهذا يختل الحرف في سلم الأولويات مكاناً أعلى من المقاطع والكلمات لأنّه هو الشرط اللازم لوجودها وتساق الحجة لإثبات أن تحصيل المعرفة الفلسفية ممكن ونافع وميسور وهو تغير عن الدعوة إلى التفسف والبحث عليه وتأكيد لصحة نسبة الكتاب أرسطو الذي يشغلنا .

وتعدّ كلمة أيتيا (١) (العلل) في سياق هذه الفقرة خصوصاً

(١) Aitia - Ta aitia - al aitia - Hal Aitia أو في المقامات أولاً ويعرف عادة بالطلل .

بعد الكلام عن قيمة التنظيم والتحديد في تيسير المعرفة . وحديث أرسطو عن العلل الأربع المشهورة تحديد لفلسفته عن الغاية وتوجيه إليها ، وهو كثالث تغيير عن تفكيره في أصول المعرفة وترابط الموجودات في نظام على إن «العلة» تجib على مؤالين : فتحن تجib على السؤال «عن أي طريق؟ يذكر السبب أو العلة ، مصداقاً لقوله في كتاب الطبيعة (٣-٢، ١٩٤ ب) : «ولكتنا لأنبل المعرفة قبل أن ندرك السبب في كل موضوع » .

أما المسؤال : مم يتكون شيء؟ فتجيب عنه بذكر المادة والصورة فالحروف هي علة المقاطع ، والعناصر علة الأجسام ». وتحدد الصورة بذلك « التعريف ، والكل أو التركيب والشكل» (الطبيعة، ٢-٣، ١٩٥٠). وكل هذا يدل على أن تعليم الفلسفة في أكاديمية أفلاطون (التي عاش فيها أرسطو كما ذكرنا طالباً ومعيناً وقضى فيها ثلث حياته) كانت تلتقي فيه نظرية المعرفة والمنطق ونظرية الوجود (الأنطولوجيا) في نسيج واحد . ويصور لنا أرسطو العالى الأربع المشهورة على هذا النحو : (أ) ما يتكون عنه الشيء كالتمثال المكون من البرونز (ب) الشكل أو التموج (أى تفسير ما يكون أساسياً بالنسبة للشيء أو لوجوده) ، وأنا أقصد بذلك النوع أو حلوى التعريف (الطبيعة ، ٣-٤ ، ١٩٤٠ ب ٢٦) (ج) بداية التحول أو الحركة ، كالناصح أو الأب بالنسبة للطفل وبالحملة ما يحدث أثراً أو نتيجة فعلية (د) المدف والغاية أو « لماذا » ، كالصحة بالنسبة للتنفس - ويلاحظ القارئ أن العلة الثالثة هي وحدتها العلة أو السبب بمعناه الحقيقي ، أما العلتان الأولىان فهما « مبادئ » الكون والنشوء ، وأما الرابعة التي تعبّر عن المبدأ والغاية في نفس الوقت فقد شرحها في محاورته « عن الفلسفة ». والمهم أن العلل الأربع كانت عند أرسطو بمثابة أدلة للعمل في يد الباحث ، أو بمثابة الخطة والمنهج الذي يطبقه على موضوعه المختلفة . وفي نص الفقرة (٣٦) يذكر أرسطوف معرض كلامه عن العلل والعوامل الأولية الماء والنار (عند الفلاسفة السابقين على سقراط) والعدد (عند

الفيثاغوريين) والطباخ أو الموجودات الأخرى (كالمثل عند أفلاطون ، وقد ذكرها أيضاً في مقالة « الشيتا » (من كتاب الميتافيزيقا ، ١٥٥٠ ب ٣٤) وهو بهذا كله إنما يؤكّد حجته عن أسبقية المبدأ والأصل على ما يترتب عليه ويتجزّع عنه عن طريق الأمثلة التي يستمدّها عادة من التراث الفلسفي السابق عليه - أما كلمة « الطبيعي » فيزيد بها الشيء الذي يكون وجوده متفقاً مع الطبيعة وملائماً لها .

- (ب ٣٨-٤٢) هذه الفقرات موجّهة بصفة خاصة إلى معاصره « إيزوقراطيس »^(١) (٤٣٦ - ٣٣٨ ق : م) الذي انتقد منهج التعليم في الأكاديمية نقداً قاسياً وإن كان مهذباً (أنظار مجموعة خطبه المعروفة « أنتيلوزيس » من ٤٨٤ إلى ٨٦ وكذلك ٢٨٥) مؤكداً فيها « أهمية المنفعة » في توجيه الشباب . وقد سبق لأفلاطون نفسه في محاورة فايبروس أن وصف منهج إيزوقراطي التربية (دون أن يذكر اسمه) بأنه « تلقين » على حين أن منهجه هو نفسه يقوم على تحويل النفس بكلّيتها « أي تغيير اتجاهها من الظلم إلى النور ، من الظن والتخيّل والمعرفة الحسية إلى المعرفة بالمعقولات والمثل ذاتها (الجمهورية ، ٥١٨ ج ، ٥٢١ ج ، ٥٢٥ ج ،

(١) إيزوقراطيس كاتب ومربي وعلم خطابة . أنس في أثينا - حوالي سنة ٣٩٢ ق.م - مدرسة لتعليم فنون الخطابة اجتذبت الشباب من أنحاء اليونان وتخرج فيها عدد كبير من الكتاب والساسة والخطباء والمؤرخين . وقال عنها شيشرون الذي تأثر به كثيراً : « كانت أشبه بمحضان طروداه لا يخرج منها إلا القراد » وقد افتح أفلاطون أكاديميته بعد أن أنس إيزوقراط مدرسته بقليل وأشدّ المنافة بينهما . مات بعد هزيمة أثينا أمام جيوش فيليب المقدوني في معركة خارقونيا . بقيت تسع من رسائله وواحد وعشرون خطبة التي كان يكتبها التلاميذه وزبائنه ليلقواها في دور القضاء ولم يواجه بها الجمهور لإعتلال صحته ، وكلها تتميز بجمال الأسلوب والإيقاع الشعري وتحتوي على آرائه في تربية الشباب تربية عملية وأخلاقية تهم بالقيم الإنسانية الشاملة وتنادي بمحضارة يرثائية تعلق حدود المدن المستقلة وتصعد الأسر اطوية الفارسية . وكتابه « الأنتيلوزيس » Antidosis - الذي يحصل أن يكون كتاب أرسطو هذا رداً عليه - يضم خطبه التي تعبّر عن فلسفته في تربية الشباب كما تسجل صراعه مع الأكاديمية والمدارس الأخرى المعاصرة . وقد كتبه كما قال بنفسه وهو في سن الثانية والثمانين ...).

٥٣٢ ج) . والملامح في النص ورود الكلمة « الفعل » (١) أو التتحقق التي تعبّر عن فكرة أساسية في فلسفة أرسطو التي أشرنا مراراً إلى أنها فلسفة فعل (وهي في النهاية فكرة استمدّها من أفلاطون) . فغاية الشيء عنه (التيلوس) (٢) هي تحقيق فعله الخاص به ، وكل شيء في الطبيعة يتجه نحو تحقيق هذا الفعل المتن المنظم الذي يتعلّق بالشيء ويلازم طبيعته - (ب ٤٣ - ٤٥) يغلب الأسلوب البلاغي والخطابي على هذه الفقرات ، ولعل الهدف منه هو تصوير الحجة المنطقية الواردة في الفقرة السابقة عليها . ويلاحظ أن أرسطو (في الفقرة ٤٤) يلعب بالمعنيين المفهوميين من الكلمة النظر (ثيوريَا) هما التأمل الفلسفى من ناحية ، ومشاهدة التمثيل والتفرج عليه من ناحية أخرى ، وهى إشارة تفيدنا في البحث عن اشتراق الكلمات والنظر في معانٍها الأصلية التي كانت تدلّ عليها في السياق الإجتماعى والحضارى وحياة الناس العملية والحسية ... (ب ٤٦ - ٥١)

هذه الفقرات من النص هي أكثر فقرات الكتاب إثارة للخلاف بين العلماء . وقد استند « بيجر » (في كتابه المشهور عن أرسطو ، برلين ، ١٩٢٣ ، ص ٩١) إلى مثل هذه العبارات « من الطبيعة نفسها ، من المبادئ الأولى ذاتها » استنداً إليها لتأييدها أيّدَ أيدِيف أن أرسطو يقف في كتابه هذا (البروتريقيوس) على أرض النظرية الأفلاطونية المعروفة عن المثل . ولعله قد استوحى نموذج المشروع الذي يستمدّ معاييره وقوانينه الثابتة من الطبيعة نفسها والحقيقة من محاورة السياسي لأفلاطون (٢٩٦ - ٥٢٩٧) ، حيث يتكلّم هذا عن المعيار الدقيق لسياسة المدينة وادارتها ويستخدم استعارة الملاح . ولعل أرسطو أيضاً قد تناول نفس الموضوع في احدى محاورات شبابه بعنوان « السياسي » ، وإن كنا لن نتحقق من ذلك أبداً بسبب ضياع هذه المخواورة التي لم يبق منها سوى شذرات ضئيلة . مهما يكن الأمر فإن أرسطو ينطلق

(١) الفعل أو العمل Ergon - ἔργον
(٢) Telos - τέλος

من عبارته المشهورة «الفن محاكاة الطبيعة» ثم يبررني معها سلم الحجج البلاغية والخطابية: فالمشرع أو رجل الدولة والسياسة مختلف عن أرباب المهن والصنائع في أن هؤلاء يحاكون الطبيعة، أما هو فيقتلو نماذجه من الطبيعة نفسها، أي من المشاهدة المباشرة للأحداث الطبيعية، ومن المبادئ الأولى ذاتها، أي من البدايات التي ينطلق منها الفكر والمبادئ أو البدايات الأولى (١) مصطلح مألوف في لغة أرسطو، حدده في الطوبيقا ١-١، ١٠٠ ب ١٨ - كما أن تعبيره «من الحقيقة ذاتها» (٢) وارد في كتاب الطبيعة ١-٥، ١٨٨ ب، ٢٩، وأجزاء الحيوان ١-١، ١٩٦٤٢، والخير ذاته (٣) في الأخلاق الأولى ١-٨، ١٢١٨ ب ٨ ومقالة الألئقا من الميتافيزيقا ٤، ١٩٤٥ إن أرباب المهن وأصحاب الصنائع يقفون عند محاكاة الطبيعة، ويقلدون صوراً منها من الدرجة الثانية. أو الثالثة (كما تقول جمهورية أفلاطون ٥٩٩ د)، أما الفيلسوف فهو وحده الذي يتأمل الموجود ذاته على حدة (كما يقول أفلاطون في السياسي ٤٧٦ د، ٥٠٧ ب) وهو وحده الذي يحاكي المبادئ الأولى (ب ٤٨ من هذا الكتاب) :

هل يعني هذا أن أرسطو يحاكي بدوره أفلاطون؟ الواقع أن الأمر على خلاف هذا: فيما يحاكي الفيلسوف عند أرسطو المبادئ الأولى كما ذكرنا، نجد عند أفلاطون أن المفطئي - لا الفيلسوف - هو الذي يحاكي الموجودات (السفطاني ٢٣٥ أ). وربما امتدحى أرسطو عبارته المشهورة «الفن يحاكي الطبيعة» من قول أفلاطون في محاجرة السياسي (٢٧٤ د) أن الصنائع التي تخدم الإنسان وتحافظ على بقائه تعمل على غرار الكون كله وتحاكى نموذج النظام السائد فيه. أما الصورة الجميلة

(١) *Ta Prota τὰ πρῶτα*

(٢) *αἱ αὐτεῖς τε αλυθεῖς - ἀλλ' αὐτῆς τῆς ἀληθείας*

(٣) *Auto το ἀγαθον- αὐτὸν τὸ ἀγαθόν*

الى يعبر بها أرسطو عن المشرع الفيلسوف ويقول فيها إنه هو وحده الذى يحيا وبصره مثبت على الطبيعة فقد أخذها عن نص مشهور في محاورة الجمهورية لأفلاطون (٥٠٠ جـ د) . وأما استعارته الجميلة التي يشبهه فيها بالملامح فقد استمدتها كما يرى يعجر (في كتابه المعروف بابندايا ، الجزء الثالث ص ٢٤) من الكتابات الطبية في عصره ، وهي التي دونت في أولى بعض العلماء حوالي سنة ٣٥٠ ق . م ونقل عنها أرسطو كثيراً من صوره واستعاراته وتشبيهاته ، والفقرة الأخيرة (ب٥١) تشير إلى نظرية أرسطو المعروفة عن أن الإنسان نفسه هو الذي يخلق أعماله ، وهو الأصل الذي يتوله عنه سلوكه الخلقي ، وغير الخلقي . وهذا دليل على أن مثل هذا السلوك يسبقه الاختيار الحر^(١) ، كما أن المدف من الفعل تحدده المعرفة بالخير . وهذا يربط أرسطو بين المعرفة النظرية والأخلاقية في سياق متكملاً ويؤكّد العمل كما يؤكّد النظر في وقت واحد :

(بـ ٥٢ - ٥٧) الفقرة الأولى مأخوذة من كتاب آخر ليمبليخوس (غير شذرات نصوصه التي تحمل نفس عنوان كتابنا الحالى) وهو كتابه عن العلم الرياضي بالإيجاز ، ٧٩ (طبعة ن . فستا ، توبيزير ١٨٩١) وهذا يستبعد بعض العلماء (مثل ديرنوج وشنقيايس) أن تكون مقتطفة من كتابه الحالى «البحث على الفلسفة» وان كانا مع ذلك يدجحانها في النص لقربها من لغة أرسطو ومن الفقرة السابقة عليها مباشرة . وللحاظ أن أرسطو يعتمد على حججته عن مهولة التفلسف لتأييد دعوته إليه وتحث القارئ عليه ، بل إن الكلمات التي يختص بها الفقرة (٥٦) لتشهد على إزعانه القوى بامكان التوصل إلى الحقيقة ذاتها كما تعبّر عن ذلك أيضاً بعض كتبه التعليمية (قارن أجزاء الحيوان ١ - ١ ، ١٨٦٤٢ والطبيعة ١ ، ٥٠١ ، ١٨٨ ب ٢٩) والغريب حقاً أنه يثنى على الفلسفة ويفكّد سهولة كلماتها وحججها ليست سهلة على الاطلاق ! (كما ترى مثلاً في الفقرتين ٥٥ ، ١٠٣) ويلجأ في هذه الحجج كما أشرنا مراراً إلى أسلوب المبالغة الخطابية الذي كثيراً ما تتصادم فيه الأدلة وتتعارض وتناقض :

(ب ٥٨ - ٧٧) يتردد في هذه الفقرات أكثر من تعبير عن أداء الفعل وعن الواجب وما ينبغي عمله ، وكلها أفكار أفلاطونية نجدتها في محاورتي جورجياس (٥٠٣ هـ) والجمهورية (٣٤٦ هـ) حيث يتحدث أفلاطون عن أصحاب الحرف والصنائع الذين يضعون عملهم نصب أعينهم و تقوم نفس الفكرة بدور كبير في فلسفة أرسطو ، ويكتفى أنه يطبقها على الطبيعة في عبارته المشهورة التي سبق ذكرها أكثر من مرة : أن الطبيعة لا تصنع شيئاً ، والموضوع هنا هو العمل الذي يقوم به العقل ، ويبدو من بداية النص المفاجئة أنه كان مسبوقاً بجزء مفقود . والمهم أن الفقرات (٥٩ - ٦١) تنتهي إلى أن العقل هو المجزاء المتحكم في النفس ، وأنه هو وحده أو في المقام الأول ذاتنا الحقيقة . هذا الانسجام بين الانفعال والعقل وبين العاطفة والمنطق ، ولكن أساساً في الأخلاق الأرسطية ، بل إنه (على حد تعبير الأستاذ ديرلماير في تعليقه على كتاب الأخلاق الكبرى ، دار مشتات وبرلين ١٩٥٨ ، ص ٤١٢ - ٤١٩) هو التحول الكوبرنيقي أو الثورة الكوبرنيقية في فلسفة الأخلاق (نسبة إلى كوبرنيكوس الذي قال بمركزية الشمس وبذلك بدأ التحول التاريخي في النظرة الكونية والحضارية الذي نقل الإنسان من العصر الوسيط إلى عصر النهضة والعصر الحديث) . وسواء أكانت فكرة هذا التجانس ذات أصل أفلاطوني (كما يرى ديرلماير) أم فكرة أرسطية خالصة ، فإنها علامة هامة على التزعة الإنسانية في الأخلاق .

وكلام أرسطو عن جزء النفس الذي يحقق فضيلته الخاصة به أو عمله الخاص به (ب ٦٠ و كذلك ٦٥ ، ٧٠) يقوم على الفلسفة التي صاغها أفلاطون في الجمهورية (٣٥٣ - ٣٥٢ هـ) . أما كلامه اللاحق (ب ٦١ ، ٦٢) عن الارتباط بين فضيلة هذا الجزء العاقل من النفس وبين الشرف والقيمة فهو يعبر عن تفكير أرسطو ووجهة نظره الخاصة التي توكلتا أن الرقة على سلم الغايات ملازم للتصاعد في سلم القيم ،

وهو أمر لا ينفصل عن فلسفته الغائية بوجه عام - وبقية الكلام الذي يؤكّد أن الجزء المذكور هو ذاتنا الحقيقة. يأخذ تعبير «الجزء الصغير» من جمهوريّة أفلاطون (٤٤٢ ج) ولكنه يترجم بعد ذلك عن أفكار أرسطيّة أصيلة تجد ما يشبهها في كتاب الميتافيزيقا (مقالة) الآيات ٣ - ١٠٤٢ ب ٢ ، ومقالة الزيتا ١٠٣٦ ، ١٧١) . وهذا الجزء نفسه - وهو الجزء العارف الذي يعد وحده أو مع أجزاء النفس الأخرى أكثر قيمة من بقية النفس مجتمعة - يذكرنا أيضاً بمحاجرة السياسي لأفلاطون (٢٥٨ - ٢٦٠) . ومع أنه لم يرد في مائر كتابات أرسطو بهذه الصيغة ، فهو مرادف عنده للعقل (نوس) : ولما كان النظر عند أرسطو لا ينفصل كما قلنا عن العمل ، فانتابه يذكر «المعرفة المنتجة» (في الفقرة ٦٩) . وقد كان تقسيمه للمعرفة إلى معرفة نظرية وأخرى عملية مثاراً لسوء الفهم الطويل ، وربما أوحى أرسطو نفسه بذلك في بعض الأحيان عند حديثه عن المعرفة النظرية حديثاً يفهم منه أنها رؤية ملية ، مع أن الحياة الفلسفية في رأيه وبكلماته نفسها « فعل مستمر » (قارن الأخلاق النیقوماخية ٧ - ١٠٤ ب ٢٥ - ٢٣) وليس نوعاً من التهدئة أو السكينة والراحة من متاعب الحياة . فلقد كان أرسطو نفسه رجل عمل ، ومن الطبيعي أن يكون العمل شعاره في الحياة . وكلامه عن الحياة النظرية لا يراد به الحياة الموهوبة للتأمل الحالص (كما تصور يسبر وجوبيه في كتاب الأول عن أرسطو وكتاب الثاني عن الأخلاق النیقوماخية - لوفان ١٩٥٨ - ١٩٥٩) وإنما يراد به حياة الدرس والبحث العلمي التي لا ينفصل عن حياة العمل والعمل ولو لم يكن الأمر كذلك لما كان هنالك معنى لربطه بعد ذلك بين الحياة الفلسفية التي تتسم بالحكمة والبصر وبين الفضيلة والسعادة ، ولما استطعنا أن نجد في أنفسناهذا التعاطف الشديد مع الفقرة الختامية من الكتاب . - . ويختتم أن يكون ياميليخوس قد تدخل بالتغيير أو الحذف في الفقرات السبع الأخيرة (من ب ٧٠ إلى ٧٧) التي تعرض حجّة متسقة متماسكة :

ويلاحظ التقارب الشديد بين الفكرة الواردة في العبارة التي تبدأ مع الفقرة (٧١) وبين الفكرة التي جاءت في جمهورية أفلاطون (١-٧، ١٣٢٣ ب ١٣ - ١٦). ويقارن «بيجر» في كتابه عن أرسطو (ص ٦٩) بين الفقرة (٧٢) وبين نص في مقالة الألfa من كتاب الميتافيزيقا (ألفا ١٩٨٠ - ٢١ - ٢٨) ويقول إن العبارة المشهورة التي تبدأ بها هذا الكتاب الأخير (إن البشر جميعاً يسعون بطبيعتهم إلى المعرفة) تعد صورة مكررة من العبارة «الكلاسيكية» الواردة في هذه الفقرة من «البروتريبيتيوس». وإذا كانت هذه الملاحظة توحّي بأن مقالة الألfa قد كتبت قبل كتابنا هنا فإن الأستاذ «ديرنج» يرجح أن يكون الاثنان قد دوّنا في نفس الوقت.

وترد في الفقرة (٧٤) عبارة تكرر بعد ذلك بقليل : «أن الحياة تحدد (بالقدرة) على الإحسان» ، ويعکن التوسع فيها بالنظر إلى كتاب أجزاء الحيوان (٤-٣، ٣٥٦٦٦). ولعل تعريفه للإحسان في الفقرة التالية (٧٥) بأنه القدرة على معرفة شيء عن طريق الجسم لعله كان تعريفاً شائعاً في الأكاديمية (قارن الفقرة - ب ٢٤ من هذا الكتاب) ، وكذلك بالجمهورية (٥٣٢) . أما أن الناس جميعاً يسعون في طلب المعرفة ويفضلونها على كل شيء آخر (ب ٧٧) فهي عبارة أساسية يلور حولها أرسطوفى كتابنا هذا ، ولعله قد استوحاه من محاورة أفلاطون «أو يشيدموس» (٢٧٨ ج - ٢٨٢) ، لاسيما أن الحجة هنا وهناك متطابقة (كما أثبت الأستاذ ديرنایر في تعليقه على الأنجلافي الكبير ١-٣ ، ١٨٨٣ - ١٤ ص ١٩٢) . (ب ٧٩ - ٨٧) في هذه الفقرات عرض مبسط ودقيق لنظرية أرسطو المشهودة عن الامكان والتحقق أو الوجود بالقوة والوجود بالفعل ، وقد كان أرسطو أول من استخدم كلمة الفعل «انيرجيا» (١) (التي لا يجد لها في الكتابات الطبية الجموعة تحت اسم أبقراط) . ويعکن تتبع هذين المفهومين المتقابلين اللذين يعبران عن تصور أساسى في تفكير أرسطو - تبعاً يلمس جنورها في مؤلفات أفلاطون وأرسطو نفسه : في محاورة

(١) *dynamis - energia* (ال فعل) في مقابل القوة والقدرة *ένέργεια - ένέργητος*

أفلاطون « أوبيديموس » نجد كلمتين متقابلتين تفيد إحداهما تحصيل المعرفة أو اكتسابها وتملكها^(١) ، وتعني الأخرى استخدامها والانتفاع بها^(٢) . وفي محاورة ثيسيبيوس نجد كلمتين متقابلتين تدلان على التملك والاستعمال (١٩٧ ب ، ١٩٩ أ) ويرد التصوران السابقان (الحصول والاستخدام أو الملك والاستعمال) لأول مرة في الطوبيقا (٢٠٥ ب ، ١٢٩ ب) ثم نجدهما في كتابنا هذا (البروتربيتيفوس أو الدعوة للفلسفة) في الفقرات الآتية : ب ٥٣ ، ٧٩ ، ٨١ كما نجد في الفقرة (٨٣) تنويعاً على الكلمة الثانية له أهميته ، إذ تحل كلمة الفعل محل الكلمة « الاستخدام » ، كما نجد في الفقرة نفسها تشبيه الملك والعمل بالنوم واليقظة على الترتيب ، وهي استعارة يتواضع فيها أرسسطو في الأخلاق الأبويديمية (١٢١٩ - ٩ - ٣٨) : أما التقابل الأساسي بين القوة والفعل فنجده لأول مرة في « الطوبيقا » (٤٠٤ ، ٣٢١١٤) كما نلتقط به كذلك في كتابنا هنا في الفقرة (٧٩) . وب الواقع أن أرسسطو يذكر نظريته الخاصة بالقوة والفعل في كتاب الطبيعة (٨٠-١) إذ يقول إن القوة أو الإمكان (الديناميس) هو اللا-وجود الذي يمكن أن ينشأ عنه وجود معين هنا والآن . غير أنه لم يتناولها بالتفصيل إلا في مقالة « الشتا » (من كتاب الميتافيزيقا ٦-٩) التي تعد متأخرة نسبياً في سياق تطوره الفكري : ومما يمكن الأمر فإننا نراه يعرض أساس نظريته المأمة في الفقرة (٨١) مبيناً أن الفعل أشرف وأعلى قيمة من القوة ، وأن الفعل يسمو على الانفعال سمو اليقظة على النوم وهو يعود إلى تأكيد أفضلية الفعل على القوة في المقالة السابقة من الميتافيزيقا (الشتا ٩ ، ١٠٥١ ، ٤) حيث يقول إن من الواضح أنه - أى الفعل - أفضلي وأشرف من القوة ، كما يزيده تأكيداً في كتاب النفس (٣-٥ ، ١٨٤٣٠) حيث نجد هذه العبارة الحاسمة « إن الفعل دائمًا أشرف من الانفعال » .

(١) Ktesis — Κτήσις

(٢) chreia — χρῆσις

أما في الفقرتين (ب٢٣-٨٤) فنجد أرسطو يتحدث عن فعل النفس وحياتها ، وهو شيء ربما يبدو لنا أشبه بتحصيل الحاصل . ولو تذكروا ما قاله أفلاطون عن « فاعلية النفس » لاكتشافنا وراءه فلسفة عميقة (الجمهورية ٣٥٢ د- ٣٥٤ أ) ولو نظرنا في بعض كتب أرسطو الأخرى لوجدنا نفس الأفكار تردد بصورة أو بأخرى (الأخلاق الكبرى ١-٤ ، ١١٨٤ ب ، ١١٨٥-٢٢ ، والأخلاق الأولى ١٠٢١٩ ، ٢٣١٢١٩) والأخلاق النيقوماخية ٧-١٠٩٨ أ ١٧-٧) . وأهم ما يلفت النظر في هاتين الفقرتين وفي مائر أجزاء الكتاب أن فاعلية النفس أو أفضل طريقة لاستخدام أعلى قدراتها هو تأمل الموجودات والنظر الحالص في أصولها ومبادئها ، لأن هذا في رأى أرسطو (سواء في هذا الكتاب أو في سائر كتبه الأخرى وخصوصا الميتافيزيقا والأخلاق) هو أنسى أنواع الفعل (أنظر أيضا الفقرتين ب٦٦ ، ٩١) وهذا يتفق مع فلسفته عن الغاية (التيلوس) أتم اتفاق . أضف إلىه أننا نجد التسلسل والتدرج المتزايد نحو الأعلى والأشرف في عالم التفكير : فهناك الفطنة عند بعض الحيوانات الذكية (كالنحل والعنакب وعصافير الجنة) ، وهناك القدرة المتزايدة على التفكير عند الطفل والعبد والمرأة حتى الرجل الحر الناضج الذي يبلغ ذروة التفكير حين يصبح فيلسوفاً يطرح المتشعة الأنانية وراء ظهره ويوجه بصره إلى التأمل والبحث الحالص (وهذا هو الجانب النظري) فيغدو أسعد الناس وأفضلهم وأكمليهم (وهذا هو الجانب العملي) . ونجد أفكارا مشابهة عن شقى مستويات التفوق الأخلاقى لدى العبيد والأحرار والرعاة والحكام في كتاب الميساة (١٣-١) . وفي نص فقرتنا هذه (ب٨٤) نجد أرسطو يؤكّد سلم الأفعال المتردجة في قيمتها : ثم يبلغ ذروة حججه المسبحة في الفقرة التالية عندما يتكلم عن حياة الحائزين على المعرفة الفلسفية ولا يترك هذه النزوة بعد ذلك أبدا . وليست هذه النزوة العالية غير الحياة الفلسفية التي هي عنده الحياة الحقيقة ومصدر الفرح الحقيقى . ويلاحظ

القارئ أنه يجمع الخيوط التي يسطعها في الفقرة (ب ٣٣) وأحكم نسجها في الفقرات التي نحن بصددها ، ثم شدها في نسيج هيج رائع في الفقرة (ب ٩١) والفترات الختامية من النص : ولعل شيشرون (في كتابه عن الغايات^(١) (٤٠ ، ١٣ - ٢) قد استلهم كتاب الدعوة للفلسفة وهذه الأجزاء من النص بوجه خاص عندما قال : « وهكذا يكون الإنسان - كما قال أرسطو - قد ولد لأمرير ما التعلم والفعل ، وكأنما هو أشبه بإله فان ». (ب ٩٢ - ٨٧) تتضمن هذه الفقرات نظرات أرسطية حول اللنة والسعادة يختلف الباحثون في تفسيرها . وهي تقوم في هذا الموضوع من النص على الإشادة بالفاعلية التي لا يعوقها عائق ولاتعلق بشيء ولا بهدف تسعى إليه غير الفعل نفسه ، فتكون فاعالية منطقية على الفرح والسعادة أو تكون هي نفسها الفرح والسعادة . الواقع أن الفكرة التي تذهب إلى أن كل ما هو جسمى ، كل ما يراه الإنسان ويسمعه ، وكل ألم أو لنة إنما يعوق فاعالية الإنسان الحقة التي هي مصدر سعادته . هذه الفكرة ترجع لأنفلاطون الذي يعرضها عرضًا مؤثراً في محاورة « فايتون » بوجه خاص (٦٥ ج - ٦٦ ج) . وربما كان أرسطو - في الفقرة (ب ٨٨) التي لاخلو من غموض - يحاول أن يصف الحياة السعيدة التي لا يعوقها عائق خارجي أو قيد عرضي ، وهي في النهاية حياة الفلسف (أنظر كذلك الأخلاق النيقوماخية ١٣ ، ١١٥٣ - ٧) . ويرى بعض الباحثين أن أرسطو في هذا الكتاب يعادى اللنة . ولكن لوقرأنا نص الفقرات التي نحن بصددها قراءة متأنية ووضعيتها كذلك في سياق الكتاب كله لوجدنا أنه يقف في صيف اللنة التي يمكن أن تصفيها وإن جاز هذا الوصف بأنها للة نبيلة : ولا بد لتبرير هذا الرأي من الرجوع إلى الفقرة (ب ٧٧) التي تبلغ فيها حجة أرسطو في الدعوة للتفلسف ذروتها ، إذ يصل به الحماس

(١) هو كتاب شيشرون (١٠٦ - ٤٢ ق.م.) عن الخير الأسى والشر الأعمى ويناقش فيه مسألة الخير الأسى وهل هو اللنة أو الفضيلة أم شيء آخر تركيباً

إلى حد القول بأن المعرفة الفلسفية أولى باختيار الإنسان من حامسة البصر ، بل أولى من الحياة نفسها ، لأنها هي « سيدة الحقيقة » .. ولابد من تتبع حججته في هذا الكتاب لنرى كيف يرتبط عنده تدرج الموجودات في سلم الرق بدرجها في سلم القيم : فهو يعرض هذا التدرج في سلم الموجودات الطبيعية في الفقرات (ب ١١ - ٢١) . ثم نعرف من الفقرات (ب ٢٢ حتى ٣٠) أن النظر الخالص هو أعلى شكل من أشكال التفكير . وبعد أن يثبت أن هذا التفكير هو الشرط الذي لا غنى عنه للفعل الأخلاقي « حتى ولو لم يترتب عليه في الظاهر أية مفعمة عملية (من ٦٩ - ٥٨ إلى) » نجد أنه يؤكد أنه يبعث على الفرح (٥٦ ، ٩١) . ويصل أخيراً إلى هدفه وصول القائد المنتصر فيؤكّد (في الفقرة ٧٧) أن الناس جميعاً تسعى إلى المعرفة وتفضلها على أي شيء آخر . وهنا نلاحظ التقارب الشديد بين صيغة هذه العبارة وبين عبارتين آخرين وردت أولاهما في الأخلاق النيقومaxية (١٤-٧ ، ١١٥٣ ب ٣٠) وهي « أن الجميع يطلبون اللة » وذكرت ثانية - كما أسلفنا - في مدخل مقالة « الألfa » من كتاب الميتافيزيقا : « أن البشر جميعاً يسعون بطبيعتهم إلى المعرفة » . فهل تستخرج من هذا كله أن أرسطو رأياً واحداً في اللة أو السعادة وأيتها مساوية عنده للنظر والتأمل الخالص ، أم أنه غير وجهة نظره بتغير مراحل تطوره الفكري ؟ يبلو أننا لن نستطيع القطع برأى واحد في هذه المسألة ، وربما كان أرسطو نفسه هو المستول عن هذا : فهو يناقش مشكلة اللة كما يناقش مشكلة السعادة من زوايا متعددة ، ويقدم - على عادته في استعراض الآراء المختلفة في كل مسألة يبحثها - أجوبة وتفسيرات شتى أتعبت علماء العصور القديمة والحديثة . وقد ذهب « بيجر » إلى أن أرسطو غير رأيه في اللة بعد موت أفلاطون (١) ، وذلك استناداً إلى اعتقاده بأنه (أي

(١) يمكن الرجوع إلى نصوص أرسطو الثلاثة الأساسية (بجانب كتابتنا لها) من اللة في الأخلاق الكبرى (٢ ، ٧) والأخلاق النيقومaxية (٧ ، ١٣ - ١٥ ، ١٠ ، ١٥ - ٥) والخطابة (١١ ، ١١) ومقالة اللام من الميتافيزيقا (٧) وملحوظات أخرى في كتاب الطبيعة (٣٧ ، ٣٧ - ١٨) وكتاب النفس (٣ ، ٧ ، ٤١ ، ١٠ - ١١)

أرسطور) لم يستقل بفلسفته إلا بعد موت أستاذه . بيد أن آراء « ييجر » قد تعرضت للنقد والتعديل من جانب علماء عديدين ، ويتفق معظمهم الآن على أن رأى أرسطور في اللذة بقى على ما هو عليه : فالتصوص التي بين أيدينا تدل على أنه كان متفقا مع رأى معاصره « أويدوكسوس » (١) في أن اللذة خير ليعابي وأنه حاول خلال مراحل تطوره إلى لا تذكر أن يؤيد قول معاصره هنا بأنها خير طبيعى أو حبلى وأن يلائم بينه وبين نزعته المثالىة التي تميل إلى وجود تسلسل أو تدرج في اللذات . ولا ننسى أن كتابنا هذا ليس عرضا منهجياً لطبيعة اللذة ، كما أنه يخرج بطبيعته عن التصدى لل المشكلات وفحص المعضلات . إنه كما سميته دعوة للتلفيف وهي دعوة ملحة ، والدعوات بطبيعتها تنفر من التعقيد وتغري الضيوف والمدعوبين بكل سهل .. ولهذا غالب عليهـ كمارأيناـ الأسلوب البلاغى والخطابى . وربما صرح رأى بعض الباحثين في أن المعلم الأول لم يكلف نفسه عناء كتابته ، بل أملأه على بعض تلاميذه ارجالا .. ويمكن على كل حال أن نلخص رأيه في اللذة كما عرضه في الفقرات المشار إليها (من ٨٧ إلى ٩٢) على النحو التالي : هنالك أشياء مرذولة توصف بأنها لذات ولكن هناك أيضا لذات طيبة وحقيقة ، وهلنا تتطوى أكمل أشكال الحياة على اللذة الكاملة . فالمستيقظ يحيا حياة تفوق في قيمتها حياة النائم ، والফكر يحيا حياة أكمل من حياة العاطل من التفكير (بسبب تخلفه أو عدم تضجمه) ، والفرح والسعادة اللذان ينبغان من التفكير الفلسفي هما أصدق

(١) هو أويدوكسوس الكيني (من حوالي ٤٠٠ إلى حوالي ٣٤٧ ق.م) عالم يوناني تطرق في الرياضيات والفلك والجغرافيا . كان من أعضاء الأكاديمية الأفلاطونية ، وزعماً رئيسياً في غياب أفلاطون عنها (سنة ٣٦٧ في رحلته إلى صقلية) وفي نفس الوقت الذي التحق فيه أرسطور بها . قام أثناء وجوده في الأكاديمية تفسيراً لنظرية المثل من وجهة نظر العلم الطبيعي وكان وأية في أن اللذة هي أعلى الأسس أثر كبير على أرسطور الذي ينافس نظرية في المقالة المنشورة من كتاب الأخلاق الピغومانية ، ويحصل أن يكون قد أثر عليه أيضاً في نظرية عن المحرك الأول الذي لا يضرك ..

فرح وأكمل سعادة . ويكون أن تتأمل العبارة الأخيرة في الفقرة (٩١) لترى كيف يتحدد كمال الصياغة الفنية واللغوية مع كمال الفرح والسعادة بالحياة ! .. (ب ٩٧ - ١٠٣) تعبّر الحجّة التي يسوقها أرسسطو في هذه الفقرات عن طابع تفكيره . فقد بدأ ببرير حجّته تبريراً نظرياً واتخذ منها برهانًا يثبت به ما يقول . وهذه الحجّة هي اجماع الناس في كل الشعوب والعصور ^(١) على وجود الله وعلى طلب السعادة . وهي حجّة كانت لها شهرتها في العصور القديمة وعصر آباء الكنيسة ، وما زالت معياراً للحقيقة في ميدان فلسفة الدين ، ولعلها تكمّن وراء الدليل « الأنطولوجي » المشهور منذ القديس « أنتيليم » حتى ديكارت وناديه . والمهم أن حجّة أرسسطو تتضمّن العناصر الآتية :

- (١) الحياة المفتقرة للقدرة على التفكير حياة لا قيمة لها .
- (ب) القدرة على التفكير والتفلسف لا يقاس بها شيء آخر ، وكل ما عدّها لا يساوي شيئاً إذا قورن بها .
- (ج) النوم شيء ممتنع ومحبب إلى النفس ، ولكن من المستحيل تفضيله على اليقظة أي على الفكر الإيجابي الفعال .
- (د) أنا نحب كل ما هو واضح ومضيء ، وهذا نحب التفكير والمعرفة .
- (هـ) وأخيراً فإن القدرة على التفكير والتفلسف شرط ضروري لقيام الحياة السعيدة الكاملة . - ونرى في الفقرة (٩٨) كيف يلجم أرسسطو كما كان يفعل أستاذه - إلى الحجّة التي تقوم على المقابلة بين الأصداد ^(٢) - وقد كان كلامها يستعين كثيراً بهذا الأسلوب من المجاج - فيزيد بذلك من الأحكام والدقة اللذين يميزان هذا الكتاب ، ويبلغ بعقلانيته أقصى حد

(١) Argumentum ex consensu omnium

(٢) οὐδὲν τὸ εἶναι τὸ μητὸν - ex emantion مواجهة رأى برأى آخر مصادره ومتارضاته . ولللاحظ أن أرسسطو يستخدم هنا رصيده القائم من أمثال هذه الحجج التي عرضها في " الطوريات " أو الموضع البديلي .

يمكن . أما أن معظم حجاجه - كما أشرنا مراراً - حجج ببلاغية وخطابية وبراهين ظاهرية ترد في أغلب الأحوال إلى تحصيل الحاصل ، فذلك أمر آخر ... - ترد في الفقرة (١٠١) عبارات تدل على رأى أرسطو القاطع في تكليب الأحلام واعتبار الروى والتخيلات التي تطوف بنا في النوم نوعاً من الخداع الذى لانصيب له من الحقيقة : وإذا كان أفلاطون في مناقشته المشهورة لموضوع الأحلام (الجمهورية ٥٧١-٥٧٢) قد ذهب إلى أن « الرجل الحكيم » يمكن أن يقترب من الحقيقة في أحلامه بحيث لا تبعد رؤاه وتخيلاته عن الواقع المألوف أدنى بعد ، فإن أرسطو ينفي في كتابنا هذا وفي مواضع أخرى من كتبه أن يكون للأحلام أى نصيب من الحقيقة والصدق ، وإن كانت تعبّر عن نوع من الإدراك أو الإحساس الذي ليس من السهل احتقاره ولا الاقتناع به . (كمي يقول في مقالته عن النوم ٤٦٢ ب ١٢ أنظر كذلك الميتافيزيقا ، مقالة الدلنا ٢٩ ، وكذلك الفقرة التي نحن بصددها من هذا الكتاب) - أما كلامه في الفقرة التالية عن الهروب من القامض والمحبول والسعى إلى الواضح والمعروف فلعله أن يكون متأثرا برأى أفلاطون في أن مثال الخير - وهو أسمى المثل وأرقها قدرآ - يفيض النور والوجود والمعرفة على الأشياء الموجودة في عالم الحسن (الجمهورية ٥٠٩ آ). وإذا كان الفكر الفلسفي اليوناني يوجد بوجه عام بين النظر العقلى والنظر بالعين ، بحيث يمكن القول أن التأمل عنده مقترن بالمشاهدة والرؤية الجمالية (خصوصا عند أفلاطون!) فليس غريبا أن تردد عند أرسطو وعند غيره من مفكري اليونان صور العقل والنور والبصر (أنظر مثلا الخطابة ١٠-٣ ، ١٤١١ ب ١٢ ، ١٠٩٦ ب ١٧-١ ، ١١٠٨ ، والأخلاق النicomomaxية ٤-١) يبلو من روح هذه الفقرات الأخيرة والتشاؤم الغالب عليها (والمناصل في الروح الإغريقية جنبا إلى جنب مع التفاؤل العقلى ، وهذا هو وجه المفارقة النادرة فيها !) أنها مستوحاة بوجه خاص من محاورة فايدون لأفلاطون (٦٤ آ - ٧٠ ب) التي تعرض نفس الفكرة

تقريباً على النحو التالي : « إن الفلسفه معناه تحرير النفس من الجسم ^(١) صحيح أن الرجل العادى يرى أن الحياة بغير لذة الحواس لاقيمة لها ^(٦٥) ولكن هذه اللذة عديمة القيمة ، فالعقل ^(٢) يفكك أوضاع تفكير عندما يسعى في طلب الموجود . إن الفيلسوف يتوصل للحكمة ^(٣) والحقيقة عندما يبحث بالفكرة الحالص عن الطبيعة الحقة للأشياء . ولكنه لا يستطيع بلوغ المعرفة الصادقة بالوجود الحقيق طالما بقيت نفسه مطروحة مع جسمه البسي ^(٤) . لهذا ينبغي علينا أن نسعى إلى تحرير النفس من الجسد ^(٦٦ج) حتى تتمكن من التركيز على الفاعلية الباطنة ، (وتكون) حرفة من أغلال الجسد . إنك إذا تأملت عامة الناس وجدت كل سعيهم باطل ، (ولا حظت أنه في معظم الأحوال نوع من المهادنة لاجتناب شر معين . لأنهم يعيشون في قلق دائم ولا يفهمون أن الحكمة وحدها هي العملة الأصلية التي يمكننا أن نشتري بها فضيلة النفس . وليمت الحياة الحالية من الحكمة إلا لعباً أو رسمها بالظلال ^(٦٩ب) ، وهي في الواقع حياة الاستبعاد ^{*} -

والتقاب بين هذا النص وبين عبارات الفقرات التي نحن بصددها أوضح من أن نشير إليه . صحيح أنه تقارب في الشكل أكثر منه في المضمون ولكنه ينطوي في الحالين بأن الحياة العاطلة من التبصر والحكمة حياة باطلة لا تستحق أن تسمى حياة ، وأن القيم التي يختلف بها الناس لا تبدو لهم كذلك إلا بسبب ضعفهم الذي يزكيها في أعينهم ، مع أنها لا تعلو أن تكون ظلالاً سخيفة وأشباحاً عارية من كل حقيقة . غير أن التقارب الشكلي بين : الفيلسوفين لا ينفي عن أرساطو أصالته ، فليس ما يقوله مجرد محاكاة لأستاذة ، وصورة ليست مجرد ظلال باهتة لذلك الأثر المشهور . ويتضح

(١) أو طالما بقيت ملقاء مع الجسد أو مقلوفاً بهـ فيهـ .

(٢) أو ما هو جسمى .

(٣) أو السروح .

(٤) أو التبصر العاقل الحكم (فرونيزيس)

هذا بوجه خاص إذا تأملنا الاستنتاج الذي يخرج به أرسطو من كلامه المضبوغ بالقتامة. فهو في الحقيقة يبتعد عن كلام أفلاطون بقدر ما يقترب من «دفاع» سocrates . أنه ينكر إمكان التوصل إلى المعرفة الحقيقة في هذا العالم ، ولا يرجح هذا الإمكان في عالم آخر بعد الموت ، وإنما يؤكّد أن الحياة بغير تفاصيل لا تستحق أن تكون حياة . وإليك عبارات أفلاطون التي توضح الفارق الشديد بيته وبين تلميذه الناضج المستقل برأيه :

«إذا كان من المستحيل إذاً التوصل إلى المعرفة الحقيقة مابقيت النفس مرتبطة بالجسم ، فليس (أمام الإنسان) إلا أحد أمرتين ممكنتين : إما أن يكون اكتساب المعرفة الحقيقة مستحيلا على الإنسان ، وإما أن يكون محتملا بعد الحياة الحاضرة » (فايلون ، ٦٦) : لاشك أن الفقرات الأخيرة توحى للوهلة الأولى بتشاؤم أرسطو ، مما جعل «يجر» (أرسطو ، أمس تاریخ تطوره ، برلين ١٩٢٣ ، ١٩٥٥ ، ص ١٠٠) يقول إنه كان في كتابيه (ويقصد بها الأخلاق الأويديمية وهذا الكتاب) مفعم النفس بالتشاؤم من هذا العالم الأرضي ومن خيرات الدنيا . وتابعه في ذلك بعض الباحثين الإيطاليين (مثل باريچاتسي وبنيونه وتلاميذه) الذين أسرفوا في تأكيد تشاؤم أرسطوف شبابه ورجولته إلى حد القول بأنه دعا في كتابيه السابقين إلى ترك الأرض التي لا ينفع فيها للإنسان أن يحيا الحياة الحقة ! والواقع أن هذا الزعم مبالغ فيه أو مغلوط من أساسه . فأرسطو لم يتخيل أبداً عن نزعته العقلية المتفائلة ، ولا تخلى أبداً عن واقعيته التي تتفذ ببصرها الحاد إلى كل مجالات الواقع في الطبيعة والعقل والمحضارة . وإذا كان عقله الأرستقراطي يطل كالنسر من عليائه ويرصد جوانب الضعف والشقاء الإنساني ، فما ذلك إلا لأن عين الفيلسوف تنظر إلى الواقع – كما يعبر أسبيريوزا – من وجهة نظر أبدية فترى كل ما نتصوره خيراً مجرد مظهر خداع وشجاع زائف ، وتعرف أن القيم التي نهم بها في حياتنا اليومية عديمة القيمة : وإذا كان الرجل العادي مثلنا يمر بهذه التجربة في بعض المواقف

«الحقيقة» والأزمات الطارئة، فهل تستكثُر على الفيلسوف أن تكون هذه هي تجربته الأصلية؟ وهل يمنع التعاطف مع الشقاء البشري من التفاوُل بقدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة والإيمان وبقدرة الإنسان على أن يحيى الحياة الجديرة به؟ لقد كان أرسطو في صميمه إنساناً واقعاً؛ وهذه الواقعية «اليونانية» هي التي جعلته يرصد ضعف الإنسان ويعرف أن شقاء البشر أمر واضح للعيان (السياسة ٢٧-٢٠٧ ب ١). وقد كان ضعف الإنسان بالقياس إلى الآلة موضوعاً أثيراً طرقه مفكرو اليونان وكتابهم وشعراؤهم منذ هوميروس حتى عهده. ولهذا اقترن به كذلك موضوع آخر ظلوا يعبرون عنه. منذ عهد الحكماء السبعة في القرنين السابع وال السادس قبل الميلاد، وهو ضرورة التزام الحد وتجنب الغطرسة والسعى إلى معرفة النفس، أي معرفة الإنسان بأنه حيوان عاقل فان... . أما أن العقل هو وحده الخالد وأنه هو وحده الإلهي من كل ما ينطوى عليه كياننا، فهي فكرة لم ترد عند أرسطو وحده، وإنما هي قديمة في الفكر اليونياني، نجدتها في شذرات باقية من ديوجينيس الأبولوفي (من القرن الخامس قبل الميلاد) (١٩٦٤) وعنديوثوفراست (١) (من حوالي ٣٧١ - ٣٧٠ إلى ٢٨٧ - ٢٨٨ ق. م) الذي يقول في كتابه عن الاحساس (٤٢) إن العقل (نوس) هو جزء صغير من الله، كما قال بها أفلاطون في شيء من الجنر (في القوانين ٨٧٥ ج) ووردت عند أرسطو نفسه (في كتابه أجزاء الحيوان ٤ - ١٠، ٦٨٦ - ٢٨٦ - ٢٩) حيث يقول إن العقل أو التبصر هو أكثر الأعمال حظاً من الألوهية. ومن الطبيعي أن يستخلص أرسطو التبيّحة المرتبة على هذا القول فيذهب في الفقرة قبل الأخيرة (١٠٩) إلى أن الإنسان يبلو بفضل العقل إلها بالقياس إلى مسائر الكائنات الحية. وقد رد شيشرون هذا القول الأخير كما رأينا من قبل

(١) أوئاغراسموس، صديق أرسطو وتليه، وخلفه في رئاسة مدرسته (الوقيون) من سنة ٢٢٢ إلى سنة ٢٨٧ ق. م.

(في رسالته عن الغايات ٤٠، ١٣، ٢) فوصف الإنسان بأنه أشبه بإله فان، وصاغه أبيقور (٣٧٠ - ٣٤١ ق. م) بصورة أخرى حين قال إن الإله يحيا في الإنسان (وذلك في خطابه إلى مينوكوس . ١٢٥ E p. ad Men.) وهو في الأخلاق واللاهوت ويعارض في بعض أجزائه كتاب أرسطو هنا ..). وفي النهاية ترفع هذه النغمة الرائعة لسوج اللعن الخاتمي في الفقرة الأخيرة ، فنسمع أن حياة الإنسان الثانية تتطوى على جزء من الإله، وهو قول تردد فيه عبارة اقتبسها أرسطو كما اقتبسها غيره من مسرحية « ميديا » للشاعر المسرحي يور بيلز (ميديا ، البيت رقم ٧٧٠).

وثاني العبارة الأخيرة في الكتاب لتعزز إعان أرسطو بما قاله سocrates في خطبة الدفاع (١٣٨)، وتأكد أنه (أي أرسطو) أقرب إلى هذا الحكم - الذي يعبر « على المسؤال (١) .. من أفلاطون نفسه : .. إن الحياة الخالية من التأمل والنظر لحياة لا تليق بالإنسان » .. وربما أمكننا أن نضيف : والحياة الخالية من الحرية لا تسمح بتأمل ولا نظر ولا عمل، بل ليست في الحقيقة حياة : : : : :

« نَمْ بِحَمْدِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ »

(١) مثوان رواية فلسفية رائعة الكاتبة الأمريكية كورا ماسون، نقلتها إلى العربية الأستاذ محمد محمود . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٦ .

كتب أخرى للمترجم

- البير كامي ، محاولة لدراسة فكره الفلسفى - القاهرة ، دار المعرف ، ١٩٦٤ .
- مدرسة المكمة - القاهرة ، دار الكتاب العربي - ١٩٦٧ .
- نداء المقيقة - القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٧٧ .
- المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الالهى (لليينتر) - القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٧٤ .
- المنقد - قراءة لقلب أفلاطون (مع نص الرسالة السابعة) - القاهرة دار المعرف (تحت الطبع) .
- فلسفة العلو (الترانسندنس) - للأستاذ فولفجانج شتروقه - القاهرة ، مكتبة الشباب ، ١٩٧٥ .
- تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق (لكانط) - القاهرة ، المكتبة العربية ، ١٩٦٥ .
- الطريق والفضيلة (تاو - تى - كنج) للحكيم الصيني لاو - تسى القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٦ (الألف كتاب) .
- البلد البعيد - دار الكاتب العربي - القاهرة ، ١٩٦٧ .
- ثورة الشعر الحديث (من يودير الى المصر الحاضر) في جزئين القاهرة ، هيئة الكتاب ، ١٩٧٢ - ١٩٧٤ .
- سافو - شاعرة الحب والجمال عند اليونان - القاهرة ، دار المعرف ، ١٩٦٦ .
- التعبيرية - (صرخة احتجاج في الشعر والقصة والمسرح) - القاهرة، هيئة الكتاب ١٩٧١ (مسلسلة المكتبة الثقافية) .
- هدلرلين - القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٢ (مسلسلة نوابغ الفكر الغربي) .

- النور والفراشة - ذهرات من بستان الديوان الشرقي (جوطه مع روئته للأدب العربي وأدب الفرس ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة أقرأ ، مارس ١٩٧٩) .
- ابن السلطان (قصص) - القاهرة ، دار المعرف ، ١٩٦٧ .
(سلسلة أقرأ) .
- السيدة الظاهرة (قصص) - القاهرة ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧ .
- الحسان الأخضر يموت على شوارع الأسفلت - قصص القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨١ .
- لحن الحرية والصمت (الشعر الألماني بعد الحرب العالمية الثانية) القاهرة ، هيئة الكتاب ، ١٩٧٤ - سلسلة المكتبة الثقافية .
- المسرح التعبيري - القاهرة ، هيئة الكتاب ؛ ١٩٨٤ .
- المسرح الملحمي - القاهرة - دار المعارف - ١٩٧٧ (سلسلة كتابك)
- المسرحيات الكاملة لمورج بشتر - القاهرة ، هيئة الكتاب - ١٩٧٩
(سلسلة مسرحيات مختارة) .
- قصائد من برخت - القاهرة - دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧ .
- الأقصوصة والحكاية (جوطه) - القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٦
(سلسلة أقرأ) .
- تاسو (لجوطه) - القاهرة ، دار الكاتب العربي ١٩٦٨ (سلسلة مسرحيات عالمية) .
- الاستثناء والقاعدة والسيد بونتيلا وتابعه ماتي (برخت) - دار الكاتب العربي ، مسرحيات عالمية ، ١٩٦٦ .
- بكمائية إلى صلاح عبد الصبور - القاهرة - هيئة الكتاب ، ١٩٨٢ .
- الليل والجبل (ثلاث مسرحيات) - القاهرة ، روايات المصلال ، ١٩٨٥
أغسطس .
- من قتل الطفل ؟ (مسرحيتان) - القاهرة ، هيئة الكتاب ، مختارات فصول ، ١٩٨٣ .

فهرس

الصفحة

٥	الاهداء
٧	كلمات خالدة لأرسسطو
٩	تقديم
١٥	دعوة للفلسفة
٦٩	تعليقات وشرح
٩٧	كتب أخرى للمترجم

مطبع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الایداع بدار الكتب ٣٧٧٢ / ١٩٨٧

ISBN - ٩٧٧ - ١ - ١٣٦٩ - ٧



مكتبة لسان العرب

كتاب مفقود لأرسسطو ، بدأت عيون الباحثين تقتفي آثاره .. وتلمس صداه في نصوص أرسسطو الباقية من كتبه الضائعة أو في نصوص القدماء الذين أخذوا عنوان كتابه وحاولوا تقليد أسلوبه وأفكاره ، وظل الأمر فيأخذ ورد حتى بدد أحد العلماء الانجليز الظلام المحيط به وأثبت أن كتاباً بنفس العنوان لأحد أتباع الأفلاطونية - يضم جزءاً كبيراً أخذ ينصلح الحرف من كتاب أرسسطو .

ويقدم هذا الكتاب للعرب د. عبد الغفار مكاوى ، ويتناول الجوانب التاريخية العامة مع عرض وتحليل له ونشأته ومضمونه .

